الجمهورية الـــجزائرية الديمقراطية الشعبيـــة

وزارة التعلـــيم الـــعـــالي والبحث العلمي

جـــــامعة ابـــن خلدون تيـــــارت

كلية الآداب واللغات الأجنبية

قسم اللغة والأدب العربي

فرع: دراسات أدبية تخصص: أدب حديث ومعاصر

مذكرة تخرج مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي موسومة بـــ:

فكرة المثقف في مذكرات شاهد القرن لمالك بن نبي

إعـــداد الـــطالبـــة:

- فرجاني وفاء
- محمد ليليا

إشـــراف:

د/ يوسف يوسفي

لـــجنـــــة الـــمناقشـــــــة

أعضاء اللجنة	الرتبـــــة	الجامعـــــة
أ. د/ بلحسين محمد	رئيســـــا	تيـــــارت
د/ يوسف يوسفي	مشرفا مقـــررا	تيـــــارت
د/ قرور معاشو	عضوا مناقشـــــــــا	تيـــــارت

السنة الجامعية: 2019-2020م/1440-1441ه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿... وَقُل رَّبِّ
زِدْنِي عِلْمًا﴾

سورة طه: الآية 114

شكر وتقدير

أولا الحمد لله رب العالمين الذي وفقنا للوصول إلى هذه المرتبة العلمية

ثانيا كل الشكر والاحترام والتقدير إلى أستاذنا المشرف يوسف يوسفي الذي لم يبخل علينا بعلمه طيلة مشوارنا الدراسي، فكانت توجيهاته وإرشاداته تنير طريقنا في إنجاز هذا البحث.

كما أتوجه بالشكر الخالص إلى كل أساتذتنا الكرام، الذين نقلوا إلينا هذه الرسالة السامية على أكمل وجه جزاهم الله خيرا وحفظهم.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل موظفي المكتبة على ما قدموه لنا من خدمات يسرت لنا هذا البحث، وإلى كل من ساعدنا ووجهنا ودعمنا في إنجاز هذا العمل.

نسأل الله عز و جل أن يجعله في ميزان حسناتهم.

إهداء

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إلى من اهتدينا بنوره ومشينا على نهجه، وتعلمنا الصبر من سيره، إلى حبيبي رسول الله عليه ألف صلاة وتسليم.

أهدي هذا العمل إلى كل من حبب إلى قلبي لغة القرآن، إلى علمائنا وأساتذتنا الكرام، إلى من أنار فكرنا وحثنا على العلم النافع

إلى نبع الحنان والسند الدائم، إلى القلب الذي زرع حب العلم والإصرار «أمي الحبيبة"

إلى من رافقوني في هذا الدرب " إخوتي الأعزاء " أدامهم الله و حفظهم

إلى رفيق المستقبل، من شجعني وهون على صعوبة هذا المشوار " زوجي " حفظه الله

إلى كل من كان العلم نهجه، والأخلاق شيمته وفضيلته.

مقدمـــــة

اللهم لك الحمد حمداً طيبا مباركا فيه، حمدا كما ينبغي لجلالك وعظيم سلطانك، لك الحمد بالإيمان ولك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد على نعمة الأهل والمال والمعافاة والصلاة والسلام على سيد الخلق وحبيب الحق محمدا صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وصحابته الغر الميامين، أما بعد:

تعد مشكلة الثقافة والحضارة من أهم المشكلات الحديثة والمعاصرة التي حظيت بدراسات جمة شغلت الكثير من المفكرين، فهي تعكس المجتمع في جانبه السياسي، والديني، الاجتماعي والاقتصادي، فموضوع الثقافة والحضارة من المواضيع الشائكة التي فرضت نفسها في اهتمام المفكرين ونخص بالذكر العلامة والفيلسوف الجزائري "مالك بن نبي" أحد عمالقة الفكر الإسلامي في القرن العشرين، فقد أخذ على عاتقه تشخيص العالم الإسلامي والعربي من العلل التي تعتريه.

يرى مالك بن نبي أن همزة الوصل بين المشكلة و الحل هو : المثقف و مدى التزامه بالدور الذي يؤديه ، و للوقوف على الجوانب التي تهيئ هذا الأخير على تجاوز العوائق التي تعترض أمته و مجتمعه ، يعرض علينا مالك بن نبي في " **مذكرات شاهد القرن** "كيف يتعامل المثقف في المجتمع معرفا إيانا على المرجعية الأصلية التي اعتمدها ،و التي تخلق سمة فكرية و مساحة معرفية تعطي لهذا المثقف الدور القيادي و النخبوي في مجتمعه و أمته .

ولعل من بين الأسئلة التي يمكن طرحها في هذا المجال عن أفكار مالك بني نبي في مجالي الثقافة والحضارة باعتباره رمزا للمثقف هي:

ماهي مصادر فكرمالك بن نبي؟ وكيف نظر مالك بن نبي الى الحضارة والثقافة؟ وما هو موقفه من الحضارة الغربية؟ وكيف يتصرف المثقف في المجتمع؟ وماهي أهم المحطات التي استوقفت وعكست المثقف **مالك بن نبي** في مذكرات شاهد القرن؟

إن الهدف الرئيس للبحث هو الإجابة عن التساؤلات التي تطرح عن فكر مالك بن نبي والوقوف على جوانب من حياته، لما لها من أهمية، حيث تعكس مذ كراته المجتمع الجزائري وما يعانيه من أزمات ووجوب التصرف بالشكل الثقافي.

وقد أختير الموضوع لسببن : الأول وهو سبب ذاتي : تمثل في حب فكر هذا الرجل العظيم "رحمه الله" ، أما السبب الثاني فهو موضوعي : فقد أعطت كتب هذا المفكر العملاق دلالة على قوة الحضارة العربية الإسلامية ، وأفصحت عن ثقافتنا التي نجهلها ، هذه الثقافة التي أرست جذورها في مفكر تعلم و تخرج في معاهد فرنسية ، إلا أن مرجعيته بقيت أصلية هي هدي القرآن الكريم وسنة المصطفى عليه الف صلاة والف تسليم وعلى آله وصحبه .

اعتمدنا في هذه البحث مقدمة، ومدخلا، وفصلين، وأنهيناه بخاتمة.

وقد تضمن المدخل دراسة موجزة حول مفاهيم الثقافة والحضارة، أما الفصل الأول، فقد تعرضنا فيه إلى مشكلة الثقافة في فكر مالك بن نبي، عرضناها في ثلاثة مباحث: أما المبحث الأول فكان ترجمة للمؤلف، أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه المثقف عند مالك بن نبي، والمبحث الثالث تعرضنا فيه الى الحضارة عند مالك بن نبي.

أما الفصل الثاني فتطرقنا إلى: فكرة المثقف في مذكرات شاهد القرن، موضحين إياها في ثلاثة مباحث، أما المبحث الأول فكان المثقف الطفل، والمبحث الثاني: المثقف الطالب، والمبحث الثالث تضمن: آراء النقاد. وأنهينا العمل بخاتمة خلصنا فيها الى أهم النتائج التي توصلنا إليها .

ولإنجاز هذا البحث اعتمدنا المنهج التاريخي الوصفي ، الذي يتلاءم مع سرد الأحداث ،مع اعتماد المنهج التحليلي كأداة إجرائية في العمل . وقد اعتمدنا جملة من المراجع التي اعتبرنا بعضها أساسية قد ارتكز البحث عليها نذكر منها : مذكرات شاهد القرن : و الذي يعتبر أساس هذه الدراسة.

مشكلة الثقافة: حيث لخص هذا الكتاب نظريات ومفهوم مالك بن نبي للثقافة.

من أجل التغيير ، شروط النهضة ، كتاب الأمة لفؤاد عبد الرحمان البنا .

كما استفدنا من عدة دراسات سابقة حول المفكر مالك بن نبي ، ومن بينها :مذكرة الماجيستر بعنوان "مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة لصاحبها حسن "موسى محمد العقبي ، مذكرة الماستر بعنوان " مالك بن نبي أدبيا " لصاحبتها بن ميمونة إيمان ، مذكرة ماستر بعنوان " الإستعمار والثورة في فكر مالك بن نبي " لصاحبتها فرج فضيلة .

ونظرا لأهمية وقيمة مفكرنا العظيم مالك بن نبي و المواضيع التي يعالجها ، واجهنا عدة صعوبات منها : أسلوبه العلمي في الكتابة ، و الذي يتطلب قراءة دقيقة و خلفية معرفية لفهمه ، إضافة إلى قلة خبرتنا في مجال البحث .

ولايسعنا في الأخير إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل وبالحب الصادق إلى كل من ساعدنا في هذا البحث، ويعود الفضل الأكبر إلى االأستاذ المشرف د/ يوسف يوسفي الذي تفضل بالإشراف على هذا العمل ،ولم يبخل علينا بملاحظاته السديدة، وعلى توجيهاته العلمية والمنهجية، وتشجيعاته الدائمة التي كانت تمدنا بمواصلة الطريق، كما نتقدم بالشكر الجزيل للجنة المناقشة على إنفاق وقتهم في قراءة هذا البحث فلهم منا كل الإحترام والتقدير وإن وفقنا فمن الله عز وجل وإن أخفقنا فمن أنفسنا وعلى الله قصد السبيل .

مدخـــــــــل

الثقافة والحضارة "مفاهيم ودلالات"

يتميز الجنس البشري عن سواه بما يسميه علماء الأثروبولوجيا والإجتماع "الثقافة" Culture"، أو ما يطلق عليه مصطلح الرموز الثقافية والمتمثلة في العناصر التالية: اللغة والفكر والدين والمعرفة والعلم والقيم والأعراف الثقافية والأساطير والقوانين ... إلخ.

إن تميز الإنسان بمنظومة الرموز الثقافية هو الذي أهله وحده للسيادة، الخلافة في هذا العالم، ومن ثم يجوز بكل مشروعية أن ننظر إلى الإنسان على أنه كائن ثقافي بالطبع. أي أنه لا يمكن الحديث عن جوهر الإنسان دون اعتبار الرموز الثقافية أهم العناصر المكونة للطبيعة البشرية، واعتمادا على مدى عمق الرموز الثقافية في الطبيعة البشرية ذاتها[1]. وبعد تقديمنا لهذا التعريف نتطرق إلى مفهوم الثقافة في اللغة العربية:

01/ تعريف الثقافة لغة: إن للفعل الثلاثي العربي (ثقف) يثقف ما يربو عن عشرة معاني ذات دلالات مختلفة تتفاوت قربا وبعدا، عن مدلول كلمة ثقافة المتداولة في الوقت الحاضر ومنها:

المعنى الأول: وجود الشيء أو مصادفته، والشاهد على ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: "واقتلوهم حيث ثقفتموهم" سورة البقرة 191.والضمير "هم" يعود على مشركي مكة، ومعنى الآية اقتلوا مشركي مكة أينما وجدتموهم أو صادفتموهم في طريقكم[2].

المعنى الثاني: الظفر بالشيء وأخذه على وجه الغلبة ومن ذلك قول الله تعالى: "إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء". سورة الممتحنة الآية 2 ومعناه أن يغلبوكم يكونوا لكم أعداء من حيث القتل.

[1] محمد الذوادي، الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب منظور العلوم الاجتماعية، ط1، كانون الثاني، يناير 2006، دار الكتاب الجديد المتحدة، ص ص 27، 28.

[2] أحمد بن نعمان، هذه هي الثقافة، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ص 17.

المعنى الثالث: تقويم اعوجاج الشيء تقول: ثقفت الرمح أو القوس أو أي شيء معوج، إذا قومت اعوجاجه فيغدو مثقفا أو مقوما ومن هذا المعنى استعيرت لفظة (مثقوفون) للدلالة على ما هو مستقيم صلب[1].

المعنى الرابع: الحذق والمهارة في إتقان الشيء[2]. وبعد التعريف اللغوي لمفهوم الثقافة نعرج على مفهومها الإصطلاحي:

2/ تعريف الثقافة اصطلاحا:

لا يكاد يوجد شك في أن العلوم الإجتماعية المعاصرة قامت بدور رئيسي في نشر كلمة مفهوم الثقافة على مستوى أكاديمي ثم مجتمعي واسع ويأتي علما الأنثروبولوجيا والاجتماع في طليعة العلوم الاجتماعية التي اهتمت بدراسة الثقافة واستعمالها الكبير كمفهوم لتحليل وفهم وتفسير الظواهر المجتمعية والفردية المتنوعة.

ومما لا ريب فيه أن هذين العلمين وجدا / يجدان مصاعب جمة في تعريف الثقافة تعريفا دقيقا ومحددا، وهذا ما يشير إليه وجود 164 تعريفا لمفهوم الثقافة. إذ لو كانت الثقافة مسألة سهلة الإلمام بطبيعتها وجوهرها لما كانت هناك حاجة ومشروعية لهذا العدد الهائل من التعريفات التي صاغها الباحثون والعلماء في العلوم الإنسانية والاجتماعية المعاصرة، وبعبارة أخرى، فهذا العدد الضخم من التعريفات يدل على أن مفهوم الثقافة يحيط به كثير من الغموض عند العلماء والمنظرين والباحثين في علوم الإنسان والمجتمع.

ورغم ذلك العدد الكبير من التعريفات لمفهوم الثقافة فإن ذلك لا يعني غياب الاتفاق بين العاملين في العلوم الإنسانية والاجتماعية حول تعريف للثقافة وقع عليه إجماعهم، فعالم الأنثروبولوجيا

[1] أحمد بن نعمان، هذه هي الثقافة، (م.س)، ص 18.

[2] المصدر نفسه، ص 19.

البريطاني إدوارد تيلور صاغ في كتابه الثقافة البيدائية تعريفا لمفهوم الثقافة أصبح هو التعريف المرجعي الأول للمختصين في العلوم الاجتماعية والإنسانية المعاصرة.

يعرف تيلور الثقافة على أنها: "ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة والعقيدة والفن والتقاليد وأي قدرات وعادات أخرى يتعلمها الإنسان كعضو في المجتمع". فالتعريف يشير بوضوح إلى أن العقيدة والمعرفة والفن والأخلاق والعادات هي عناصر أساسية للثقافة، هذا الكل المعقد[1].

أما عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي لسلي وايت (**Lesley White (1900 – 1975**، فإنه يربط مفهوم الثقافة عند الإنسان بقدرة هذا الأخير على إعطاء معانٍ للأشياء ويسمى ذلك بالقدرة الرموزية التي تسمح للإنسان بفهم معاني الأشياء وكذلك خلقها واستعمالها.

ومن ثم يعرف وايت الثقافة باعتبارها تلك القدرة الرموزية عند الإنسان. ويخلص إلى القول بأنه لا يوجد إنسان بدون ثقافة ولا توجد ثقافة بدون إنسان[2].

ويعرفها كلايد كلوكهون (Clyde Kluckhohn) (1902/1979) : "بأنها مجموعة طرائق الحياة لدى شعب معين، أي الميراث الاجتماعي الذي يحصل عليه الفرد من مجموعته التي يعيش فيها، أو الجزء الذي خلقه الإنسان في محيطه وهي التي تحدد الأساليب الحياتية أو هي طريقة في التفكير والشعور والمعتقدات، إنها معلومات الجماعة البشرية مخزونة في ذاكرة أفرادها أو في الكتب أو في المواد والأدوات"[3]. وبهذا فهي أسلوب حياة إجتماعي.

---

[1] محمود الذوادي، الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب منظور العلوم الاجتماعية، ط1، كانون الثاني، يناير 2006، دار الكتاب الجديد المتحدة، ص ص 43، 44.

[2] المصدر نفسه، ص 72.

[3] نصر محمد عارف، الحضارة، المعرفة، الثقافة، المدينة، دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، ط2، 1414ه/1994م، ص 20.

ويرى مالينوفسكي (Bronisław Malinowski (1884– 1942) بأن الثقافة: "أداة فعالة تنقل الإنسان إلى وضع أفضل، وضع يواكب المشاكل والأطروحات الخاصة التي تواجهه في المجتمع أو في بيئته، وذلك في ضوء تلبيته لحاجاته الأساسية"[1].

وقد ورد في آخر تعريف للثقافة والصادر عن المؤتمر العالمي بشأن السياسات الثقافية تحت إشراف اليونسكو المنعقد بمكسيكو 6 جويلية إلى أوت 1982 ما نصه: "إن الثقافة بمعناها الواسع يمكن أن ينظر إليها اليوم على أنها مجاع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينة أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والأداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات، وإن الثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته، والتي تجعل منا كائنات تتميز بالإنسانية المتمثلة في العقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي وعن طريقها نهتدي إلى القيم ونمارس الخيار، وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه، والتعرف على ذاته كمشروع غير مكتمل، وإلى إعادة النظر في إنجازاته والبحث دون توان عن مدلولات جديدة وإبداع أعمال يتفوق فيها على نفسه"[2]. وبهذا فالثقافة هي التي تميز الإنسان وترتقي به.

2/ **تعريف الحضارة لغة:** من حضر، حضوراً وحضارة الحضر خلاف البدو، والحضور نقيض المغيب، والحاضر هو المقيم في المدن والقرى، والبادي هو المقيم في البادية[3]

[1] دوني كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة: قاسم المقداد، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص24.

[2] أحمد بن نعمان، هذه هي الثقافة، (م.س)، ص 23.

[3] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف كورنيش النيل، القاهرة، ص 906.

وجاء في قاموس المحيط: "أن معناها من حضر، وهو ضد غاب والحاضرة والحضارة خلاف البادية"[1]. إذن فالحضارة تحمل المعنى الاجتماعي فهي تدل على العمران والاستقرار ولا تكون إلا بوجود الجماعات والعلاقة المتبادلة بينهم من تعاون وصلة تربطهم ببعضهم بعض.

3/ **تعريف الحضارة اصطلاحاً:** يعرض المفكر كيزو مفهوم الحضارة في كتاب بعنوان "الحضارة في أوروبا وفي فرنسا 1829/1828" بالعبارات التالية: "إن أول ما يتبادر إلى الذهن عند التمعن في كلمة حضارة هو التقدم والتطور"[2]. إنها تعني ارتقاء الحياة المدنية.

ويعرفها محمد محمد حسين: "الحضارة هي كل ما ينشئه الإنسان، فهي كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه عقلا وخلقا ومادة وروحا ودينا"[3].

وفي السياق الإجتماعي يقول ديورانت أنها: "نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإن الحضارة تتألف من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق"[4].

ومن الناحية التاريخية يعرفها كلايد كلاكهونClyde Kluckhohn 1905-1960 أنها: "نتاج تاريخي لتنظيم المعيشة، وذلك من خلال مشاركة الجماعة فتصور الحضارة يكتمل بلغة الجماعة التي ينتمي إليها، وكذلك تقاليدها وعاداتها وقوانينها، وما تحتويه أفكارها التي تحركها، والإعتقادات والقيم وما يتضح من خلال وسائلها المادية وأنماط الفن المختلفة"[5].

---

[1] الفيروز آبادي، قاموس المحيط، (بيروت: دار الفكر 1412ه/1983م)، ج2، ص 16.

[2] محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 10-2013، ص 25.

[3] محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، ص 4.

[4] ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محفوظ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1949، ص 4.

[5] دنكن ميتشل، معجم علم الإجتماع، ترجمة: إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت، 1981، ص 68.

ويعرفها ابن خلدون بقوله: "إنما هي تفنن في الترف، وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه"[1]. فالحضارة عند ابن خلدون هي درجة من التقدم التي تبلغها المجتمعات، وإن فقدت شروطها في مجتمع معين، فإنها حتما تنتقل إلى مكان آخر تتوفر فيه تلك الشروط.

وهي في نظره تعني التمدن حيث يقول: "نجد التمدن غاية البدوي يجري إليها، وهكذا يتبين أن المعنى الأصلي لمصطلح الحضارة، المدينة يعني سكني الحواضر أو المدن"[2]. فالحضارة هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود وسواءً أكانت الثمرة مادية أم معنوية[3].

علاقة الثقافة بالحضارة:

لقد شكلت كلمتي الثقافة والحضارة تداخلا كبيرا في المعنى، فهناك من اعتبرهما مترادفتين وهناك من فرق بينهما.

الإتجاه الأول: فقد اعتبر عالم الأنثروبولوجيا تايلور أن الثقافة والحضارة هما لفظان لمدلول واحد، إلى أن جاء علماء القرن العشرين ففرقوا بينهما، والثقافة لدى هذا الفريق من العلماء تعني النواحي الأخلاقية والروحية في حياة المجتمع، أما الحضارة فتعرف بمعايير خاصة، كاكتظاظ المدن بالسكان ووجود صناعات وحرف معقدة تقوم على التخصص الدقيق ... وبهذا ربطوا فكرة الحضارة خاصة بتطور المجتمع العلمي والتكنولوجي ولكنهم يقرون في نفس الوقت بما لهذا التطور من أثر في المجال الثقافي.

---

[1] ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد، مقدمة ابن خلدون، 1 مج، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ص 172.

[2] بدري محمد فهد، محاضرات في الفكر والحضارة، الأردن، عمان، 1429ه/2009م، ص 23.

[3] علي مؤنس: الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1419ه/1998م، ص 23.

وهناك فريق آخر من العلماء يفرقون بين الثقافة والحضارة لا على أساس النوع والكيف، بل على أساس الكم، حيث يرون أن الحضارة شكل معقد من أشكال الثقافة[1].

وثمة فريق آخر من العلماء يفصلون الحضارة عن الثقافة فصلاً تاماً، فهم يقصرون معنى الثقافة على النظم الاجتماعية والمعايير التي تعبر عن الحياة الروحية للجماعة كالدين والأدب والفن والغايات الأخلاقية العليا، أما الحضارة فتنصب على المظاهر المادية والميكانيكية التي ابتدعها الإنسان في محاولة لضبط ظروف حياته[2].

الإتجاه الثاني: يرى هنتنجتون أن الحضارة مرتبطة بالثقافة حيث يقول: "الحضارة والثقافة كلاهما يشير إلى مجمل أسلوب الحياة لدى شعب ما، والحضارة هي الثقافة على نطاق أوسع وكلاهما يضم المعايير والقيم والمؤسسات وطرائق التفكير التي علقت عليها أجيال متعاقبة أهمية أساسية في مجتمع ما.

والحضارة إنما هي أعلى تجمع ثقافي من البشر وأعلى مستوى من الهوية الثقافية، يمكن أن يميز الإنسان عن الأنواع الأخرى، وهي تعرف بكل من العناصر الموضوعية العامة مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات والتحقيق الذاتي للناس"[3].

الإتجاه الثالث: هناك رأي يصنف المجتمعات والأمم إلى ثلاثة أصناف:

1. أمم تعيش ما قبل الحضارة.
2. أمم تعيش في الحضارة.
3. أمم تعيش ما بعد الحضارة.

---

[1] أحمد بن نعمان، هذه هي الثقافة، (م.س)، ص 99.

[2] المصدر نفسه ،ص 20.

[3] صمويل هنتنجتون: صدام الحضارات "إعادة صنع النظام العالمي"، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم: د. صلاح قنصوة، 1998، ص25.

على أن هذا الرأي التصنيفي للمجتمعات والأمم في السلم الحضاري يقابل بأطروحة مضادة تماما، مفادها أن لكل مجتمع بشري ثقافة وحضارة مهما تكن مستوى بدائيته أو وحشيته، وما دمنا لا نجد حسب اعتقادنا في المجتمعات المعاصرة من يقبل أن يصنف في درجة ما قبل الحضارة إستنادا إلى الحجة الجاهزة لدى أصحاب الإتجاه الثاني، فإننا نفضل السير في هذا الخط بالذات إلى النهاية، ولأصحاب هذا الإتجاه نقول بأننا مع الاتجاه القائل بأن لكل مجتمع حضارة وثقافة أو أن كل مجتمع يعيش حضارته وثقافته[1].

تكامل الثقافة: يذهب المفكر أرنست رينان في محاضرة ألقاها بجامعة السوربون سنة 1882 بعنوان "ماهية الأمة؟" يقول "قبل الثقافة الفرنسية والألمانية والإيطالية، هناك الثقافة الإنسانية (...) ينتمي إلى الأمة الفرنسية كل أولئك الذين يتعرفون على أنفسهم من خلال مبادئ الثورة الفرنسية مهما كانت أصولهم".

إن الإتجاه العام عند الفلاسفة والرومانسيين الألمان هو التأكيد على أسبقية "الأمة الثقافية" على "الأمة السياسية" فلا وجود للثانية بدون الأولى، إذ أن الثقافة هي عبارة عن سلسلة من الفتوحات الفكرية والفنية والأخلاقية، تكون أولا تراثا تملكه الأمة بأسرها وفي متناول كل الإنسانية، فالثقافة عند أولئك المفكرين [لوسيان – فيفر – فولتير] هي الروح العميقة للأمة، أما الحضارة فهي التقدم المادي، وقد أثر هذا التميز في المفكرين الفرنسيين منذ نهاية القرن 19، فجعلوا مفهوم الثقافة يقتصر على الطابع الفرنسي، ووسعوا مجاله ليعني ما هو عالمي، وقد عبر أرنست رينان عن ذلك التأثير في كتابه "إصلاح فرنسا الفكري والأخلاقي 1870" بقوله: "عندما كنت في ملتقى القديس سوبيس سنة 1843، تعرفت على ألمانيا من خلال غوتيه وهردر، وقد أحسست أنني أدخل إلى صرح عظيم"[2].

[1] أحمد بن نعمان، هذه هي الثقافة، (م.س)، ص 10.

[2] محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، (م.س)، ص ص 26، 27.

مجالات الثقافة والحضارة:

كثر استعمال كلمتي الثقافة والحضارة في السنوات القليلة الماضية لكن يلاحظ أن كلمة ثقافة هي الأكثر استعمالا في أيامنا هذه، فقد سادت على سبيل المثال، كلمة ثقافة في العبارات التالية: ثقافة المستهلك – ثقافة التغذية – ثقافة السياقة – ثقافة الاصطفاف في الطوابير – ثقافة المعاملات بين الناس – ثقافة الصحافة – ثقافة السياسيين ...إلخ، وفي المقابل فإن كلمة حضارة لا تكاد تستعمل مشتقاتها إلا في مناسبات محدودة مثل: سلوك حضاري – وبيئة حضارية – وسكان الحضر[1].

ولكلمتي الثقافة والحضارة عدة معان ومجالات.

[1] محمود الذوادي، الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب منظور العلوم الاجتماعية، (م.س)، ص ص 42، 43.

الفصل الأول

مشكلة الثقافة في فكر مالك بن نبي

مشكلة الثقافة يمكن أن تطرح بصفة عامة ضمن ثلاثة أوضاع مختلفة:

1- فعندما نتساءل: كيف تتكون ثقافة معينة؟ يكون سؤالنا متضمنا لجواب عن مرحلة تاريخية معينة.

2- وعندما نتساءل: ما هو الدور الذي تؤديه ثقافة معينة؟ أو ماهي الصورة التي تبرز فيها هذه الثقافة؟، نجد إزاء وجهة نظر أخرى للمشكلة.

3-أما عندما نتساءل: كيف يتم إعداد ثقافة معينة؟ فإننا نكون إزاء زاوية نظر مختلفة عن الوجهتين السابقتين. وهذه الأوضاع الثلاثة للمشكلة، كلها ذات قيمة على الصعيد النظري، إلا أنه من الواضح أن الوضع الثالث هو الذي يتضمن الجواب عن المرحلة التاريخية التي تنظم بلادا كالجزائر،باعتبارها بلادا بصدد الخروج من العهد الإستعماري مع كل المشاكل التي خلفها لها هذا العهد وراءه.

فنحن عندما نطرح بالجزائر هذا السؤال: ماهي الثقافة؟ لانفكر بالدرجة الأولى في ضروب التسلية التي يمكن أن تقدمها لنا الفنون الفلكلورية، والمسرح والشعر.

لكننا نفكر أولا في الحقائق المسموحة للتخلف:في البطالة،والأمية ونقص التغذية...إلخ[1]

فنحن لا نتلقى الثقافة، وإنما نتنفسها ونتمثلها بالطريقة نفسها التي يتم بمقتضاها تنفسنا وتمثلنا لأكسجين الهواء.

1. نظرية الثقافة عند مالك بن نبي:

يعرف مالك بن نبي الثقافة على أنها:«مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه،والثقافة والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته"[2].

[1] مالك بن نبي، القضايا الكبرى. ط1434ه /2013م. دار الوعي للنشر والتوزيع.ص 69.

[2] مالك بن نبي،شروط النهضة،ترجمة: عمر كامل مسقاوي،عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق.ص83.

وهذا التعريف يشير على أن المجتمع هو الأرضية الخصبة لميلاد الثقافة والحضارة.

كما يشير مالك بن نبي أن كلمة ثقافة لم تكن محددة كمصطلح فلم توجد في مؤلفات ابن خلدون ذلك لأنها فكرة حديثة جاءتنا من أوروبا حيث يقول في هذا العدد:"كما أن كلمة ثقافة لم تكتسب بعد قوة الحديد الضرورية لتصبح علما على مفهومها ثمرة من ثمار عصر النهضة،والواقع الأوروبي عامة والفرنسي خاصة اختار كلمة "**culture**"[1].

ويرى مالك بن نبي أن الفكرة والشيء لا يكتسبان قيمة ثقافية إلا في ظل بعض الشروط وهما لا يخلقانالثقافة إلا من خلال اهتمام اسمى بدونه يتجمد عالم الافكار و عالم الأشياء حتى كأنه قطع من الآثار في متحف فيفقد كل فعالية اجتماعية حقة.

والإتصال السطحي بالأفكار والأشياء لا يولد الاهتمام الأسمى، وبالتالي لا يخلق مشكلة،وهذا ما حدث في المجتمع الإسلامي الذي عجز عن استنطاق فكرة ابن خلدون،فأصبح يتزلق على سطح الأشياء.دون أن يغور خلالها،ويمر بجانب الأفكار دون أن يتقمصها.

لأنه لم تعد له علاقة بهذه أو تلك ولقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم هذه العلاقة في صورة أخاذة تخلع على الأفكار وعلى الأشياء قيمتها العقلية، وفاعليتها الاجتماعية حيث قال:"مثل ما بعثني الله عز وجل من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير، أصاب أرضا فكانت منها بقعت قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ" [رواه مسلم].

ففي هذا النص تدرج من الأعلى إلى الأدنى في تصوير علاقة الفرد والمجتمع بالعلم، أي بالأفكار والأشياء.

[1]مالك بن نبي، مشكلة الثقافة.ط1، 1434ه/2013م،دار الفكر المعاصر.بيروت ودار الفكر سوريا. ص25.

وكأن النبي صلى الله عليه وسلم أراد من هذا التدرج، ذي الدرجات الثلاث أن يرمز إلى عصور ثلاثة يمر بها المجتمع، يبدأ تاريخه بمرحلة يحدث فيها تقبل الأفكار وإبداعها وتمثلها تليها مرحلة تبلغ فيها الأفكار إلى مجتمعات أخرى، ثم تعقب مرحلة يتجمد فيها عالم الأفكار فيصبح لديه أدنى فاعلية إجتماعية.

فيمكننا أن نقول: إن المجتمع الإسلامي في عصر الفرابي كان يخلق أفكارا وأنه كان على عهد ابن رشد يبلغها إلى أوروبا وأنه بعد ابن خلدون لم يعد قادرا لا على الخلق ولا على التبليغ.[1]

2. مفهوم الثقافة في المدارس الغربية:

فقد حدد مالك بن نبي تعريفات الثقافة المتعددة في المدرستين:

1-**المدرسة الغربية:** التي ظلت وفية لتقاليد عصر النهضة وهي ترى عموما أن الثقافة ثمرة الفكر، أي ثمرة الإنسان تقابلها طبعا.

2-**المدرسة الماركسية:** التي ترى أن الثقافة في جوهرها ثمرة المجتمع، ومن مفكري المدرسة الغربية: وليام أوجبرن ورالف لنتون.

ويذهب هذا الأخير إلى أن الثقافة ككل تتداخل أجزائه تداخلا وثيقا.

ففي المستوى الأول يوجد مجال العموميات باعتبارها الأرض التي تمتد فيها جذور الحياة الثقافية للمجتمع، وذلك كالدين واللغة والتقاليد تلك التي تعد المنوال الأساسي الذي يحدد نوع العقلية الخاصة بالنموذج الإجتماعي.

والمستوى الثاني ماذهب إليه لنتون هو مستوى الأفكار الخاصة الناتجة عن التخصص المهني والتي على أساسها تكون التفرقة بين مختلف الطبقات الإجتماعية.

[1] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، (م.س). صص 48، 49.

وهناك تطور في ثقافة مجتمع معين في مجموعهما وذلك نتيجة النظريات المستحدثة والمخترعات والمكتشفات في الميدان السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

أما وليام اوجبرت فإنه يفرق في الثقافة بين مجالين يطلق على أحدهما الثقافة المادية وعلى الآخرالثقافة المتكيفة فالمجال الأوليضم في رأيه الجانب المادي من الثقافة، أي مجموع الأشياء وأدوات العمل والثمرات التي تخققها[1].

3-العلم والثقافة : يفرق مالك بن نبي بين الثقافة والعلم ويرى بأنهما ليسا مترادفين حيث يقول: "الثقافة تولد العلم دائما، والعلم لا يولد الثقافة دوما ولا يمكن استبدال أحد هذين المفهومين بالآخر إن هذا التميز أساسي أولا لدى وضع برنامج يهدف إلى الارتفاع بثقافة بلد ما إلى أعلى مستوى من مستويات الحضارة،وثانيا في فهم الظواهر الاجتماعية والسياسية ذات الأهمية الأساسية"[2].

كما يشير أيضا بأن المدرسة لايمكنها أن تحل مشكلة الثقافة لوحدها حيث يقول "وهي لايمكنها أن تقوم بدور العامل المساعد إلا في الحدود التي تندمج فيها وظيفتها ضمن الخطوط الكبرى لمشروع الثقافة،على المنوال الذي تجري فيه لأنها محاولة إنجاز ذلك في إطار التعليم الجزائري الذي تواجهنا جميع مشاكله، وفي مستوى التعليم الإبتدائي بالخصوص ضمن حدود التكوين بدلا من حدود المعرفة. إلا أنه يتعين علينا على اية حال أن لا نضيع فائدة تجربتنا طوال نصف القرن الماضي، وهي المتمثلة في إدراكنا أن الثقافة تمثل ظاهرة بيئية قبل أن تكون ظاهرة مدرسية"[3].

4-الثقافة في التاريخ:لقد حدد مالك بن نبي معنى الثقافة في التاريخ حيث قال"لا يمكن أن يتطور تاريخ بدون ثقافة، فالشعب الذي يفقد ثقافته يفقد حتما تاريخه".

[1]مالك بن نبي. مشكلة الثقافة.(م.س)، ص ص 29، 30، 31.

[2]مالك بن نبي.من أجل التغيير.ط1، 1995، دار الفكر دمشق. ص54.

[3] مالك بن نبي. القضايا الكبرى.(م.س)، ص ص 80، 81.

فالثقافة هي تلك الكتلة نفسها بما تتضمنه من عادات متجانسة وعبقريات متقاربة، وتقاليد متكاملة، وأذواق متناسبة.وعواطف متشابهة،وبعبارة جامعة:"هي كل ما يعطي الحضارة سمتها الخاصة ويحدد قطبيها:من عقلية ابن خلدون وروحانية الغزالي أو عقلية ديكارت و روحانية جاك دارك".هذا هو معنى الثقافة في التاريخ.

5-الثقافة في التربية:أما عن معناها في التربية فقد أشار إلى أنها تهتم بكل طبقة في المجتمع، ومثل وظيفتها بوظيفة الدم الذي يغذي الجسم فهي غذاء الحضارة[1]

6-عناصر الثقافة:يرى مالك بن نبي أن الثقافة تتكون من أربعة عناصر أساسية تمثل الدستور الشعبي لحياته المثقفة وهي:

-عنصر الأخلاق لتكون الصلات الإجتماعية

-عنصرالجمال لتكوين الذوق العام

-منطق عملي لتحديد أشكال النشاط العام

-الفن التطبيقيالموائم لكل نوع من أنواع المجتمع أو (الصناعة) حسب تعبير ابن خلدون[2].

1.التوجيه الأخلاقي:ويقصد الأخلاق من الناحية الإجتماعية والتي تحدد قوة التماسك الضرورية للأفراد في المجتمع،وهي منحة من الله تعالى،يؤتيها مع نزول الأديان عندما تولد الحضارات كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: «وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»[الأنفال 7/63] والدين الإسلامي خلق من

[1]ينظر:مالك بن نبي مشكلة الثقافة (م.س)، ص ص 76-78 .

[2]ينظر:مالك بن نبي شروط النهضة، (م.س)، ص 87.

عناصر متفرقة كالأنصار والمهاجرين أول مجتمع إسلامي، فالإسلام شكل ويشكل قوة تماسك الحقيقة التي تصل بنا إلى الحضارة المنشودة.

2. التوجيه الجمالي:

لا يمكن لصورة قبيحة أن توحي بالخيال الجميل أو بالأفكار الكبيرة،فإن لمنظرها القبيح في النفس خيالا أقبح،والمجتمع الذي ينطوي على صورة قبيحة لابد أن يظهر أثر هذه الصور في أفكاره وأعماله ومساعيه.

هكذا نظر مالك بن نبي إلى الجمال، الجمال الذي استلهمه من أريج فرنسا، فقد إعتبر الجمال لوحة فنية وأهمية إجتماعية حيث يقول: «وللجمال أهمية إجتماعية كبيرة فهو المنبع الذي تصدر منه الأفكار،وهذه الأفكار تصدر عنها أعمال الفرد في المجتمع،والجمال هو الإطار لكل حضارة فنلمس هذا الجمال في أنفسنا،وبيوتنا،وشوارعنا ووطننا فعالمنا[1]"إلا أن العالم العربي يفقد صلته بالجمال حيث يقول:«ولعل من الواضح لكل إنسان أننا أصبحنا اليوم نفقد ذوق الجمال،ولو كان موجوداً في ثقافتنا إذن لسخرناه لحل مشكلات جزئية،تكون في مجموعها جانبا من حياة الإنسان"[2].

ويعتبر مالك بن نبي أن أي خرق في الجمال هو خرق في ثقافتنا فالجمال يجب أن يكون أسلوب حياتنا،وتوجيه سلوكنا وقانون يحكم مجتمعنا

3. المنطق العملي:

ويؤكد مالك بن نبي على ضرورة الفعالية والتي غابت عن المسلم،فيضيع وقته وإمكانياته عبثا فيقول:"إن الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة ولكن منطق العمل والحركة،وهو لا يفكر ليعمل بل ليقول كلاما مجردا،بل لأنه أكثر من ذلك يبغض أولئك الذين يفكرون تفكيرا مؤثرا،ويقولون كلاما

[1] ينظر: مالك بن نبي مشكلة الثقافة، (م.س)، ص ص 79، 81، 82.

[2] ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، (م.س)، ص 92.

منطقيا من شأنه أن يتحول في الحال إلى عمل ونشاط"[1]ومن هذا المنطق فهو يشير إلى ضرورة العمل بوسائله ومعانيه حيث يقول في هذا الصدد:"ونحن أحوج ما نكون إلى هذا المنطق العملي في حياتنا لأن العقل المجرد متوفر في بلادنا،غير أن العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة والانتباه فشيء يكاد يكون معدوما»[2].ويشير مالك بن نبي على غياب المنطق العملي في حياة المسلم حتى في أبسط الأمور.

4. التوجيه الفني أو الصناعة:

كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم تدخل في مفهوم الصناعة والراعي نفسه له صناعته،ومما يدلنا على القيمة الإجتماعية لهذه الحرفة المتواضعة الزهيدة،أن لها مدرسة أهلية في فرنسا بمدينة رامبوليه إحدى ضواحي باريس،فلو رأينا الراعي الخريج في هذه المدرسة و الراعي العربي يقود كل منهما قطيعه لعلمنا أي فرق بينهما؟

ومن المسلم به أن الصناعة للفرد وسيلة لكسب عيشه وربما لبناء مجده لكنها للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه،واستمرار نموه، وعليه فيجب أن نلاحظ في كل فن هذين الإعتبارين[3].وبهذا فقد اعتبر مالك بن نبي الثقافة هي غذاء المجتمع ومنطلق لبناء الحضارة،فهي كيان اجتماعي ونفسي وخلقي وجمالي،يهذب السلوك،وينمي المهارات وطريقة للعمل والبناء.

فالثقافة عند مالك بن نبي هي الإرتقاء بالقيم، والعمل بالأفكار وفق أسس ومبادئ،فالثقافة هي أساس بناء الحضارة وهي حتما ذلك المجتمع المتماسك أي هي ذلك الكل حيث يقول:"ولكن الثقافة أكثر من ذلك إنها تخلق الإنسان الذي يراقب،ويراقب ذاته في بادئ الأمر تلك هي نظرة الغزالي أو باسكال اللذان كانا يبحثان عن تناسق بين عالم الظواهر وعالم الداخل تلك هي النظرة التي تسمح للإنسان أن يسيطر على ذاته وأن يسيطر على الأشياء التي ابتدعتها عبقريته أي بكلمة مختصرة أن يتحضر"[4].

---

[1] مالك بن نبي. مشكلة الثقافة، (م.س)، ص ص 87، 88.

[2] مالك بن نبي، شروط النهضة، (م.س)، ص 95.

[3] المصدر السابق، ص88.

[4] مالك بن نبي.من أجل التغيير، (م.س)، ص 55.

المبحث الأول: ترجمة للمؤلف

1. مولد مالك بن نبي ونشأته:

ولد المفكر الجزائري مالك ابن الحاج عمر لخضر بن مصطفى بن نبي بمدينة قسنطينة، مدينة العلم والعلماء آنذاك سنة 1905م ونشأ في أسرة فقيرة نسبيا من أم خياطة وأب موظف، رحل رفقة أسرته إلى مدينة تبسة، حيث دخل الكتاب صغيرا شأنه شأن عمالقة الفكر والأدب العربي، خاصة أن هذه الفترة تميزت باحتكار المعمرين للمدارس النظامية و لم تكن السبل متاحة إلا للقليل، استمر على هذه الحال أربع سنوات، إلى غاية إنتسابه إلى أحد المدارس الفرنسية. ورغم ذلك فقد بقي محافظا على علاقته بأقرانه وبمحيطه خاصة الحلقات التي كانت محورها المساجد.

ثم عاد إلى قسنطينة ليكمل دراسته الثانوية حيث درس الفرنسية والعربية معا إلى غاية سنة 1922م والتي تميزت بربط علاقات متعددة مع تلاميذ الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله خصوصا وأنه كان يقطن بالقرب من مقر الشهاب حيث كانت تجتمع الصفوة.

كان شغوفا بالمطالعة فتعددت قراءاته من جول فيرن،إلى الشعر العربي، فأعجب بامرئ القيس والشنفرى، وعنترة وأبي نواس وحافظ إبراهيم والرصافي، وجبران خليل جبران وإيليا أبو ماضي[1].

2. الدراسة والتكوين:

أكمل الثانوية سنة 1925، وفكر بالمستقبل فسافر مع صديق له إلى فرنسا كعادة الكثير من الشبان الجزائريين آنذاك، للبحث عن عمل لائق، ولما لم يجد عملا مناسبا،عاد إلى الجزائر، وبحث عن عمل في بلاده حتى حصل على وظيفة عامل محكمة سنة 1927، ولخلافات مع بعض مسؤوليه في

[1]بشير ضيف الله، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، ط1، 2005 بن مرابط، ص19.

العمل قدم إستقالته من وظيفته، وعلى إثر ذلك اشترك مع صهره وشخص ثالث في مطحنة كمشروع خاص.

ولكن الأزمة الاقتصادية التي وقعت سنة 1929م وسميت بالكساد* العظيم يبدو أن رياحها وقعت في الجزائر وكان من أثرها بيع مالك وشريكه للمطحنة. واقترح عليه بعده والده الذهاب إلى فرنسا لإتمام دراسته أسوة ببعض الجزائريين. فسافر سنة 1930م وحاول في البداية دخول معهد الدراسات الشرقية لكنه لم يقبل لأسباب سياسية كما أورد في مذكراته، وسجل نفسه في معهد كلاسيكي، وتخصص في قسم الكهرباء[1].

وقد كان يغتنم الفرص لزيارة بلاده في العطل حيث يقول:«عدت إلى مدينة تبسة لأقضي أول عطلت لي، حيث لم أرى والداي منذ سنتين، إذ فضلت أن أقضي عطلة 1931 في باريس لأجتهد في مادة الرياضيات لأني كنت أحس نفسي أكثر ميلا للدراسات التقنية و لم تكن لدي معارف علمية، اللهم إلا بعض المفاهيم الأولية لشهادة التعليم الابتدائي و لم احسب سنوات المدرسة التي منحتني ثقافة عربية، إضافة إلى تكوين فلسفي غامض اكتسبته ذاتيا على حساب البرنامج الأولي الذي يوفره التعليم العالي المخصص للمسلمين في المدارس الجزائرية[2] ومنذ وجودي بباريس أحسست أنني مختلف عن إخواني المسلمين.

حتى في المجال الديني، حيث لم يكن إيماني تأمليا فحسب، فقد أصبحت ذلك العقل البراغماتي والعلمي، الذي لا يمكن لواقعيته ودقته إلا أن تفاجئي عقولا تعودت عدم الدقة وغياب

*الكساد: هو حالة انكماش النشاطات الاقتصادية مستمرة على المدى الطويل وهو أكثر حدة من الركود وأشهرها ما عرف بالكساد الكبير أو العظيم الذي أثر على معظم الاقتصاديات الوطنية في جميع أنحاء العالم خلال عقد 1930 وقد بدأ مع انهيار بورصة وول ستريت 1929.

[1]فؤاد البنا عبد الرحمان كتاب الأمة.العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله حولن ط1، جمادى الأولى 1434ه/2013م الدوحة وزارة الأوقاف والشؤون ص ص 38-39.

[2]مالك بن نبي، العفن، الجزء الأول، 1932-1940م، ترجمة: نور الدين خندودي، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص39.

الواقعية ومن جانب آخر فقد بقي هذا سبب وجودي في باريس ومكنني من اكتشاف عقلي، وكانت حيويتي الفكرية تدفع بثقل العقل الجزائري وتزعزعه[1]"، وفي سنة 1935 تخرج مهندسا كهربائيا.وابن نبي ورغم أنه تخرج من سلم تعليمي نظامي حديث الا أنه كان يرقى عبر التعليم الذاتي الموازي للتعليم النظامي الذي ابتدأه بكتاب القرآن وانتهى إلى التتلمذ على يد بعض العلماء (جمعية علماء الجزائر) وشيخها ابن باديس الذي قابله شخصيا وأحبه[2].

3. عمله:

بقيت عاطلا دون عمل،وبدأت تكاليف المعيشة ترتفع ،كان مصنع غرودي مونج في بلدهدرو،يبحث عن كهربائيين فتقدمت له أيضا،استقبلت بأدب،وتم تسجيل اسمي وعنواني و لم أنل شيئا،حاولت كذلك في جميع الإتجاهات و لم أحصدإلا الفشل والخيبة[3].

وفيما يخصني، فإنه يمكنني القول بأن أي مجهود حضاري بذلته منذ عشرين سنة، كرجل يمارس الحياة الفكرية إلى حد ما قد رجع علي من الناحية الإدارية بكل شر.

وعلى سبيل المثال أذكر انني قدمت، بعد نهاية دراستي 1936 طلبا الى الوزير المسؤول بباريس من أجل تأسيس معهد بقسنطينة للتحضير الطلبة الذين يرغبون في الدخول إلى الكلياتالهندسة... فلم يأتني الرد.

وفي سنة 1939-1938، أسست بمدينة مرسيليا مدرسة الأميين في سن متقدم،من بين إخواننا المشتغلين بفرنسا، فدفعتني الإدارة المختصة ومنعتني من أن أواصل التدريس في هذا المعهد البسيط، بدعوى أنه ليس لدي مؤهلات كافية لتدريس ألف باء[4]وبهذا لم تكن لديه حظوظ في العمل.

---

[1] مالك بن نبي، العفن، (مصدر سابق) ص 44.

[2] فؤاد عبد الرحمان البنا.كتاب الأمة. العروج الحضاري بين مالك بن نبي و فتح الله حولت (مصدر سابق) ص 54

[3] المصدر السابق، ص ص 186-187.

[4] مالك بن نبي.في مهب المعركة.دار الفكر بدمشق.ط 3. 1981م.ص ص 119-120.

4. مؤلفاته:

ألف مالك بن نبي العديد من الكتب، والتي وضعت تحت سلسلة مشكلات الحضارة، ومن أهمها ما يلي:

1-الظاهرة القرآنية وظهر في سنة 1365هـ/1946م في الجزائر.

2-لبيك(رواية)ظهرت سنة 1366هـ/1947م في الجزائر.

3-شروط النهضة ظهر سنة 1367هـ/1948م في الجزائر.

4-وجهة العالم الإسلامي ظهر سنة 1373هـ/1954م في باريس.

5-فكرة الإفريقية الأسيوية ظهر سنة 1375هـ/1956م في القاهرة.

6-النجدة... الشعب الجزائري يباد ظهر سنة 1376هـ/1957م في القاهرة.

7-حديث في البناء الجديد ظهر سنة 1379هـ/1960م في بيروت.

8-مشكلة الثقافة ظهر في سنة 1378هـ/1959م في القاهرة.

9-الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ظهر سنة 1379هـ/1960م في القاهرة.

10-الصعوبات علامة النمو في المجتمع العربي 1379هـ/1960م في القاهرة.

11-الإستعمار يلجأ إلى الاغتيال بوسائل العلم 1379هـ/1960م في القاهرة.

12-فكرة كومنولث إسلامي 1379هـ/1960م في القاهرة.

13-تأملات في المجتمع العربي 1380هـ/1962م في القاهرة.

14-في مهب المعركة 1381هـ/1962م في القاهرة.

15-ميلاد المجتمع 1381هـ/1962م في القاهرة.

16-آفاق جزائرية 1383هـ/1964م في الجزائر.

17-إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث 1389هـ/1969م في القاهرة.

18- مذكرات شاهد القرن(القسم الثاني الطالب(1390هـ/1970 في بيروت.

19-مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي 1391هـ/1972م في القاهرة.

20-المسلم في عالم الاقتصاد 1392هـ/1972م في بيروت[1].

ومن مؤلفاته التي ظهرت مع الثورة كتابه هوية الإسلام الذي نشر في باريس 1954م وهو الكتاب الذي كان قد فرغ من تحريره سنة 1950.

استقبل القراء هوية الإسلام استقبالا يليق به،فقد جاء في وقت تستعد فيه الامة كلها لنفض غبار اليأس،وحمل السلاح لاسترجاع الحرية والاستقلال.

فكان كتاب إدانة واقعية ومنطقية للاستعمار،وتبشيرا بإرهاصات نهضة شاملة للإسلام والجزائر[2].

ومن خلال استقراء أهم كتب ابن نبي، يمكن القول إنها ثمان معادلات أساسية، تنصب كل معادلة منها لتصنع درجة في سلم الرقي الحضاري وهي:

1-معادلة (عوامل السقوط والنهوض) بين الداخل والخارج.

[1] عبد اللطيف عبادة.فقه التغيير في فكر مالك بن نبي ط1. 2014. ص35.

[2] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج10، 1954-1962م. دار البصائر 2007. ص ص593، 594.

2-معادلة (رؤية النهوض) بين الاصالة والمعاصرة.

3-معادلة(وقود النهوض) بين المنهج والمفردات.

4-معادلة(مادة النهوض) بين الواجبات والحقوق.

5-معادلة(جنود النهوض) بين الفكر والروح.

6-معادلة(طائرة النهوض) بين جناحي الفرد والمجتمع.

7-معادلة(حركة النهوض) بين الأفكار والأفراد.

8-معادلة(جسم النهوض) بين المضامين والأشكال1.

5. سفره:

1-إلى مصر: وفي عام 1956 سافر مالك إلى القاهرة حيث تعرف على العالم العربي وصار له تلاميذ وأصدقاء وأقام علاقات كثيرة وغنية بينه وبين المفكرين والطلبة القادمين إلى القاهرة لطلب العلم . وفي القاهرة كان لمالك منتدى يرتاده الكثير من الطلبة من داخل مصر ومن خارجها.

وفي عام 1959 قام بزيارة لسوريا ولبنان، وشارك في عدد من المؤتمرات التي عقدت في السعودية والكويت وليبيا، وعين من قبل الحكومة الإسلامية مستشارا للمؤتمر الإسلامي الذي أطلق عليه فيما بعد مجمع البحوث الإسلامية[2]. وعن زيارته إلى القاهرة يقول:"إنني حضرت إلى القاهرة للقيام بواجبين:

[1] فؤاد عبد الرحمان البنا، كتاب الأمة،العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله جولن(مصدر سابق)، ص ص59، 60.
[2] محمد العبدة. مالك بن نبي. مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، ط1، 2006م/1327ه، دار النشر جدة، ص42.

أحدهما يخص مهمتي ككاتب يريد نشر كتابه الفكرة الإفريقية الأسيوية وقد يدلكم عنوانه عن صلته بالقضية الجزائرية سواء اعتبرناها من الناحية الداخلية (كتوجيهات تخص الكفاح) أو من الناحية الخارجية (كنشر هذه القضية في المجال الدولي (وبخصوص هذا الواجب فقد قمت بالقدر المستطاع حيث أنني وضعت كتابي في أيادي من يسعى إلى نشره، حتى أنني أعتبر نفسي متحررا في المستقبل من مسؤولية هذا النشر.

وأما الواجب الثاني الذي حضرت من أجله إلى القاهرة، فهو يتعلق بشخص كجزائري ساهم في الكفاح ضد الاستعمار منذ ربع قرن ويأتي الآن ليواصل هذا الكفاح تحت راية الثورة الجزائرية[1].

2-العودة إلى الجزائر:

في عام 1962م عاد ابن نبي إلى وطنه الجزائر بعد فترة غياب طويلة في حكومة الإستقلال مديرا عاما للتعليم العالي بوزارة الثقافة، والإرشاد القومي الجزائري، ولكن كان له تحفظات على طريقة الحكومة في المسارات الاجتماعية والإقتصادية فاستقال من منصبه ليتفرغ للعمل الفكري.

كان فكر ابن نبي مدعوا لأنيلعب دورا متميزا بعد الإستقلال، ولكن بعد الدولة عن الإهتمام بالفكر كما ذكرنا واغراءات التقليد للشرق والغرب واستغلال أعداء ابن نبي قدرته على القابلية للإستعمار عندما جعلوها نوعا من التسويغ للإستعمار كل هذا جعل تأثيره محدودا واكتفى بأن أقام ندوة أسبوعية في مترل، يؤمها الشباب الجزائري والشباب من أقطار المغرب العربي.

وفي هذه الفترة زار بعض الأقطار العربية ومنها سوريا ولبنان كان ذلك عام 1971م وأودع وصية في المحكمة الشرعية في طرابلس-لبنان حمل فيها الأستاذ عمر مسقاوي مسؤولية نشر كتبه.

[1]مالك بن نبي. في مهب المعركة، (مصدر سابق)، ص ص 80 81.

وفي عام 1972م أدى فريضة الحج وفي طريق عودته مر بدمشق وحاضر فيها في رابطة الحقوقيين وفي مسجد المرابط، وحملت المحاضرتان عنوان دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين وكأنما كانت هاتين المحاضرتين وصيته الأخيرة لجيل الشباب الذي يجب أن يحمل الأمانة ويؤديها إلى العالم.

وفي الجزائر وأثناء رحلته إلى مدينة الأغواط اشتد به المرض، فسافر إلى فرنسا لإجراء عملية جراحية وبعد ثمانية أيام من رجوعه توفي في يوم الأربعاء 4 شوال 1393ه، 31 تشرين الأول 1973م[1].

إن مالك بن نبي رحمه الله كان أحد عمالقة الفكر الإسلامي في هذا العصر، وقد قدم الفكرة الإسلامية وأحسن عرضها على جماهير الأمة الإسلامية خاصة شبابها الذين ترك فيهم الآثار الطيبة.

ومهما كان في هذه الأفكار من ملاحظات فهي بمجموعها تشكل رافدا من روافد الفكر الإسلامي المعاصر، يمد الشباب بالزاد الفكري الذي يقف في وجه الأفكار المستوردة من الشرق والغرب على حد سواء[2].

[1]محمد العبدة. مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، (مصدر سابق)، ص ص 43-44.

[2]عبد الله العقيل، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، تقديم: مصطفى مشهور، بدر محمد بدر، محمد مهدي عاكف، عبد الله الطنطاوي، ج1، دار البشير 2008م/1429ه، ص721.

المبحث الثاني: المثقف عند مالك بن نبي

إن قدر المثقف في الأمة هو بمثابة جهاز الاستشعار(الرادار) أو البوصلة الموجهة للسفينة حيث يتعين عليه أن يكتشف الخطر مهما يكن مستترا أو صغيرا، وينبه إلى النقص ويشخص الداء مهما يكن مؤلما أو مرعبا ويصف الدواء مهما يكن مرا أو قاسيا ويستحث على تحقيق الهدف مهما يكن صعبا أو بعيدا[1].

ومن هذا المنطلق تتبادرإلىأذهاننا عدة أسئلة منها: من هو المثقف؟ وما دوره تجاه أمته ومجتمعه؟ وماهي المسؤولية الملقاة على عاتقه ؟

1. مفهوم المثقف:

اختلفت الآراء والتصورات النظرية حول مفهوم المثقف ولعل ذلك يرجع إلى الاختلاف في تعريف المثقف من لغة إلى أخرى ولتداخل هذا المفهوم مع مفاهيم أخرى في اللغات الاوروبية المعاصرة ولاسيما الانجليزية استخدمت كلمات مرادفة للمثقف كالمتعلم. **فماكسفيبر** يعتقد أن «المثقف يحمل صفات ثقافية عقلانية مميزة، تؤهله للنفاذ إلى المجتمع والتأثير فيه بفضل المنجزات القيمة الكبرى».

[1] أحمد بن نعمان، هذه هي الثقافة. شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع،ص 7.

أما **إدوارد شيلز** فيعرف المثقف على أنه:"الشخص المتعلم الذي يملك طموحا سياسيا للوصول إلى مراكز صنع القرار السياسي أو من خلال دوره المحوري الحاسم في توجيه المجتمع عن طريق التأثير على القرارات السياسية الهامة، التي تؤثر في المجتمع ككل".

ميزة هذا المثقف قدرته العالية على استخدام الرموز ودلالات ومفاهيم لغوية عالية، متصلة مباشرة بالإنسان والكون والفرد والمجتمع[1].

أما **برهانغليون** فيقول "إن المثقف هو من ينتمي إلى طبقة اجتماعية فاعلة في المجتمع بحيث تتميز عن غيرها بتفكيرها العالي والنافذ وتدخل في عملية الصراع الاجتماعي والسياسي وفي النهاية يكون تأثيرها واضحا إما من خلال مشاركات قوية لصنع السياسة والقرار السياسي أو من خلال أعمال فكرية كبيرة تؤثر في الناس و المجتمع فكريا وثقافيا ومعنويا"[2].

ومع أن مفهوم المثقف قد اتسع ليشمل جميع الذين يشتغلون بالثقافة ابداعا و توزيعا و تنشيطا.فالثقافة بوصفها عالما من الرموز يشمل الفن والعلم، والدين، هؤلاء الذين يمكن التمييز فيهم بين نواة تتكون من المبدعين والمنتجين من علماء وفنانين وفلاسفة وكتاب، وبعض الصحافيين ، يحيط بذلك اولئك الذين يقومون بنشر ما ينتجه هؤلاء المبدعين مثل الممارسين لمختلف الفنون ومعظم المعلمين والأساتذة والصحافيين، يليهم ويحيط بهم جماعة تعمل على تطبيق الثقافة من خلال المهنة التي يمارسونها مثل الأطباء والمحامين، وهذا هو المعنى العام السيولوجي للكلمة فإن مقولة المثقفين ينصرف معناها في الأعم الأغلب إلى المعنى القوي الذي اكتسبته من مناسبة ميلادها.

[1] إدوارد سعيد، خيانة المثقفين النصوص الأخيرة، ترجمة: أسعد الحسيني، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، 1432ه/2011م، ص32.

[2] المصدرنفسه، ص37.

والمثقف بهذا المعنى القوي يتحدد نوعه لا بعلاقته بالفكر والثقافة، ولا لكونه يكسب عيشه بالعمل بفكره، وليس يده، بل يتحدد وضعه بالدور الذي يقوم به في المجتمع،كمشرع أو معترض ومبشر بالمشروع أو على الأقل كصاحب رأي و قضية، وهو في جوهره ناقد إجتماعي.

انه الشخص الذي همه أن يحدد ويحلل ويعمل على تجاوز العوائق التي تقف أمام بلوغ نظام اجتماعي أفضل، نظام أكثر انسانية وعقلانية، انه لذلك يصبح ضمير المجتمع والناطق باسم قوى التقدم التي لاتخلو منها أي مرحلة ولا مناص من أن ينعت، بأنه شخص يثير العراقيل والفتن من طرف الطبقة المسيرة التي تعمل على الحفاظ على الوضع القائم. وبعبارة أخرى إن المثقفين وفقا لهذه التحديات هم أولئك الذين يعرفون ويتكلمون، يتكلمون ليقولوا ما يعرفون ، وبالأخص ليقوموا بقيادة وتوجيه في عصر صار فيه الحكم فنا في القول، قبل أن يكون شيئا آخر[1].

2. المثقف عند مالك بن نبي:

يرى مالك بن نبي أنه على المثقف العمل على تحرير شعبه من الإستعمار الثقافي الذي يحمل قوالب جاهزة لشعوب أخرى بدعوة التحضر، والتخلص من العبودية والطموح إلى الحرية بمقاسات هذه الأفكار. التي توهمنا بأنها تحمل صفة الموضوعية ولكنها، في الحقيقة إنما هي كذلك لأنها تسقط افكارها في واقع غير منسجم و غير مؤسس، من حيث الأولويات والمناهج والمشاريع المنتجة والمبدعة، التي تعكس جودة الأفكار والأشياء والأشخاص[2].

1-مشكلة الأفكار: في أول وهلة نتساءل عن علاقة الفكرة بالمثقف والمثقف بالفكرة. هذه العلاقة الجدلية التي تبين مدى تأصل الفكرة كهوية للمثقف وهي مادته الأولية ورأس مال أفعاله الذاتية

[1] محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية،محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، مركز الدراسات،الوحدة العربية، بيروت لبنان ط1، بيروت تشرين الثاني/ نوفمبر 1995م، ك2: كانون الثاني/ يناير 2000م، ص ص 25، 25.

[2] أحمد قويدر، المثاقفة والمثقف في فكرة مالك بن نبي. الكلمة، العدد 75، ص 82، 83.

والإجتماعية، فهي الطاقة التي تحرك فيه رسالته ومهمته تجاه وعيه بمسؤوليته وتجاه مجتمعه الذي ينتظر منه تنوير منهجه وكيفية تحديد وبلوغ الأهداف التي تعكس قيمتها ووزنها لدى العام والخاص.

يدرك القارئ الكاتب في (مشكلة الأفكار) أن مالك بن نبي يحاول بطريقة غير مباشرة من خلال تلك النظرية التي يريد أن يحللها وفق منطق الفكرة والأشياء والأشخاص، ليبين لنا مكانة المثقفين بين ذلك فهو يدرك مدى ذلك العمق من هذا التحليل وهو الذي ينبغي أن يعمل وفق هذا الادراك وهذا الوعي من أجل النهوض بالمجتمع من مرحلة التقهقر، والاحتلال إلى مرحلة التنمية والتوازن الذي لانجده يصرح به، وإنما يأتي بالعديد من الدلالات التي تشير إليها[1].

2-أثر الثقافة الغربية في المثقف العربي:يعرض مالك بن نبي فكرة الأفكار القاتلة المنبثقة من الحضارة الغربية، والقى سر مفعولها في آذان مثقفينا، وفي هذا السياق يعقد مقارنة حيث يقول:"1- بالنسبة إلى أفراد مختلفة في المجتمع الواحد هو المجتمع الإسلامي إننا نجد في طرف هذا المجتمع مفكرا من حجم محمدإقبال، وفي طرفه الاخر قافلة مثقفين. والاختلاف بين النموذجين اختلاف فردي ناتج عن أن إقبال لاشك في تصفية الأفكار الميتة المشحونة في نفسه عن طريق الوراثة الاجتماعية حتى أن موقفه من مشكلة الثقافة تغير كليا كما نتصور ذلك من خلال ماكتب حيث نجده قد امتص من الثقافة الغربية عناصرها القاتلة بل امتص عناصرها الحية التي نجد أثرها بكل تأكيد في محاول إعادة بناء الفكر الإسلامي.

2- وبالنسبة إلى مجتمعين مختلفين المجتمع الياباني والإسلامي، على سبيل المثال فإنهما دخلا المدرسة الغربية في الوقت نفسه سنة 1860م. ولكن الحقيقة التاريخية التي لا جدال فيها أن النتيجة اختلفت تماما اذ نجد بعد قرن ، معجزة اليابان في الفن والصناعة والاقتصاد ومن طرف آخر المجتمع الإسلامي دون ريب، مجهدا لاينكر فيما يسمى النهضة ولكنه مجهود تشله الأفكار الميتة الموروثة من عهد ما بعد الموحدين، فمعجزة اليابان لاتفسر قطعا إلا بموقف فيه فعالية أكثر اتخذه اليابان من الثقافة الغربية لأنه

[1]احمد قويدر المثاقفة والمثقف (م س)، ص 84.

تخلص من الأفكار الميتة الموروثة من عهد الشوغون*، ولا يمكننا على أية حال أن نفسرها بأن الإستعمار أعطى للنخبة اليابانية أفكارا مثمرة خلافة، على العكس يعطي للـــــ 95% من النخبة المسلمة الأفكار القاتلة والعقيمة.

وعليه فإنه من الواضح أن القضية غير عائدة إلى طبيعة الثقافة الغربية ولكنها تعود إلى طبيعة صلتنا بها وهذه الصلة لا تحددها غير وراثتنا الإجتماعية التي لم نتخلص بعد من تأثيرها بل إنها على وجه الخصوص هي التي تملي اختيار السائح المهتم في المزبلة واختيار الطالب المجتهد في المقبرة.فكلاهما بمقتضى وراثته الإجتماعية، لا يذهب إلى المهد الذي تولد فيه الحضارة، ولا إلى المصنع الذي تصنع فيه ولكنهما يذهبان أحدهما إلى الأماكن التي تتعفن فيها،والآخر إلى الأماكن التي تقطر فيها.أي أن كلاهما يذهب حيث تكون الحضارة فاقدة الحياة لاتعطيها.[1]

ويشير مالك بن نبي أن الثقافة الغربية كان لها أثرين في المجتمع الإسلامي حيث يقول:«إن العالم الإسلامي أصبح في هذه الملابسات يعاني الصدمة التي أصابته بها الثقافة الغربية، ويعاني بسببها على وجه الخصوص أثرين: مواجهة مركب نقص محسوس من ناحية، ومحاولة التغلب عليه من ناحية أخرى حتى بالوسائل التافهة. لقد أحدثت هذه الصدمة عند قبيل من المثقفين المسلمين شبه شلل في جهاز حصانتهم الثقافية حتى أدى بهم مركب النقص إلى أن ولو مدبرين أمام الزحف الثقافي الغربي، وألقوا أسلحتهم في الميدان، كأنهم جيش منهزم في اللحظة التي بدأ فيها الصراع الفكري بين المجتمع الإسلامي والغربفأصبح هذا القبيل من المثقفين يبحث عن نجاحه في الزي، بالزي الغربي،وينتحل في أذواقه وسلوكه كل ما يتسم بالطابع الغربي حتى ولو كان هذا الطابع ليس إلا مظهرا لا شيء من القيم الحضارية الغربية الحقيقية"[2].

* هو اللقب الذي كان يطلق على الحاكم العسكري لليابان منذ 1192م وعلى نهاية فترة إيدو 1868م.

[1] مالك بن نبي، في مهب المعركة، دار الفكر، دمشق سوريا، ط3، 1981م، 1423ه/2002م، ص ص 134، 135.

[2] مالك بن نبي.إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ط1. 1969م.دار الإرشاد في الطباعة والتوزيع.ص 10.

ويرى مالك بن نبي على أن المثقف ينبغي أن يمتلك النقد الذاتي الذي يحيل إلى نجاحه حيث يقول"إن النخبة عندما تفقد موهبة النقد الذاتي على وجه الخصوص،فهي على هذا كأنها اقتنعت بتسجيل الفشل،ولكن دون أن تسعى في فهم أسبابه(...)وإننا نتمنى أن تكون قد شعرت بهذا الفشل حيث لم يكن لندائها صدى يذكر.فلو أن النخبة درست هذا الفشل لاستفادت منه أكثر مما يفيدها نصف نجاح خداع، لأنها تدرك من خلال تلك الدراسة واقعية الأمر،أعني حقيقة الشروط الخاصة التي يجب أن تخضع لها جهدها كي تحقق نجاحا كاملا"[1].

تلك إذن رؤية مالك بن نبي للمثقف،ودوره الذي أفسده هو بنفسه من خلال تبني ثقافة أخرى غير ثقافته على أنها مرجعية في التقدم والحداثة،وبالتالي لم تسعه تلك الرؤية لأنها لم تكن نابعة من ثقافته الأصلية، فقد قام بذلك الدور الهستيري الذي يتميز بترك شخصيته الحقيقة وتبني شخصية أخرى للتخلص من القلق الذي ينتابه نتيجة العجز عن الوصول إلى مرحلة تحقيق الذات كمستوى رفيع في سلم القيم[2]لمسؤولية المثقف.

3. مسؤولية المثقف:

ليس المثقف قائدا للأمة والمجتمع، إنه فاعل فكري، يسهم في عقلنة السياسات، المعلومات، والممارسات، بهذا المثقف هو عميل لا غنى عنه بين الواقع والقرار، أو بين المعرفة والسلطة أو بين المعنى والقوة.إنه يتوسط المثقف بين الدولة والمجتمع الأهلي،لكي يسهم في الحلول دون سحق الدولة للأفراد والجماعات،أو دون طغيان المجتمع بقواه وطوائفه على الدولة، والمجال العمومي، وذلك بقدر ما يفتح حوارات فكرية خصبة،أو يفتح آفاقا رحبة للمعنى،أو يعيد صياغة إشكالية العلاقة بالحقيقة.بإختصار أشد: المثقف وسيط للحد من الإستبداد والطغيان،بقدر ما ينجح في خلق وسما فكريا؛ أو تشكيل مساحة للمعرفة أو إبتكار شكل من أشكال العقلنة.

[1] مالك بن نبي. في مهب المعركة، (م.س)، ص 114

[2] أحمد قويدر. المثاقفة والمثقف في فكر مالك بن نبي، (م.س)، ص 90

وأما الدور القيادي والنخبوي فقد أعطى للمثقف إلى المؤخرة وآل به لطلب الحماية من السلطة[1].

لا يمكن أن يظهر المثقف ابداع طريق الترجمة والنسخ والتقليد يمكن أن يصبح متعلما أو طبيبا أو مهندسا أو معماريا وليس مثقفا.

إن المثقف هو إنسان يفكر بطريقة جديدة وإن لم يكن متعلما وإن لم يعرف الفلسفة، فعسى أن لا يعرفها؛ وليس فقيها لا يهم وليس عالم طبيعة أو كميائيا أو مؤرخا أو أدبيا لا يهم لا عنه بحس عصره ويفهم الناس ويفهم كيف يفكر الآنويفهم كيف ينبغي أن يحس بالمسؤولية وعلى أساس هذه المسؤولية يكون مستعد للتضحية[2].

إن مسؤولية المثقف في زمانه هي القيام بالنجوة في مجتمعه حيث لا يكون سيئا،ونقل الرسالة الى الجماهير ومواصلة النداء، نداء الوعي والخلاص في أذان الجماهير الصماء التي أصيبت بالوقر،وبيان الاتجاه والسبب وقيادة الحركة في المجتمع المتوقف،وإضرام نيران جديدة في المجتمع الراكد.وهذا عمل لا يقوم به العلماء لأن هناك مسؤولية على عاتق العلماء محددة تماما وهي منح الحياة اكبر قدر ممكن من الإمكانيات،ومعرفة الوضع الراهن وكشف قوى الطبيعة والإنسان واستغلالهما.

إن العلماء والفنانين يمنحون المجتمع البشري أو مجتمعهم قوة علمية لا توجد إلا عند المثقفين يعلمون المجتمع كيفية السير ويمنحونه الهدف كما يقدمون رسالة التحول وإستجابة التحول إلى نسق بعينه؛ ويضيئون الطريق للحركة[3].

هذا المثقف عليه أن يعمل ضمن هذا الإطار وبهذه الغاية: علي أنا المثقف أن أقدم التوعية لمجتمعيمجتمع متطلع بالثقافة الأوروبية وأعيده إلى ذاته وأحيي شخصيته التي سلبت منه وأقدم له الوعي الطلقي والشعور الإنساني الذي سلب منه وأقدم له الإيمان البشري والقومي والتاريخي هذه هي

[1] علي حرب. أوهام النخبة أو نقد المثقف 2004، المركز الثقافي العربي، ص 149.

[2] علي شريعتي، مسؤولية المثقف، ترجمة: إبراهيم الدوسقي، مراجعة: حسين علي شعيب، ط1، 1426ه/2005م، ط2 1428ه/2007م، دار الأمير للثقافة والعلوم ش.م.م، ص115.

[3] المصدر نفسه، ص ص 126، 127.

رسالتيوعلي أن أختار أفضل السبل وأكثرها منطقية لهذا العمل لا أقربها لأنه من المحتمل أن لا يكون أقرب السبل أكثرها منطقية وهو إحتمال قوي 99 بالمائة[1].

المبحث الثالث: الحضارة عند مالك بن نبي

لقد اهتم مالك بن نبي بمشكلات الحضارة، أكثر من غيره من المفكرين العرب المسلمين، وجاءت كل كتبه من أجل معالجة هذه المشكلات.

لقد اهتم الأستاذ مالك بن نبي بتحليل الحضارة، كما اهتم من قبله ابن خلدون بالسنن التي تتحكم في تطور أو تدهور الدولة، فلقد حلّل الحضارة من كل جوانبها المادية والمعنوية كما اهتدى إلى وضع شروط الحضارة، أو شروط النهضة.ويعتبر مالك بن نبي أول مفكر عربي ومسلم عرف الثقافة تعريفا يليق بها، كما سلط الضوء على مشكلة الأفكار وبين القاتلة منها والمقتولة[2].

إن المتأمل في أعمال بن نبي الفكرية يجدها تعالج مسألة واحدة، تدور حول محور واحد هو: مشكلة الحضارة باعتبار أن الحضارة هي الإطار الذي ينظم كل هذه الأجزاء التي نسميها في مكان ما مشكلة سياسية، وفي مكان آخر مشكلة إقتصادية، وفي مكان ثالث مشكلة أخلاقية[3].

ومن هنا كيف عرف مالك بن نبي الحضارة؟

[1] قادة البحيري، محطات إقتصادية من فكر مالك بن نبي، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، ص17.

[2] المصدر نفسه، ص 37.

[3] بدران مسعود بن الحسن، كتاب الأمة، الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي، ط1، 1420ه كانون الأول (ديسمبر) 1999، كانون الثاني (يناير) 2000م، الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص ص 45، 46.

1. مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي:

يعرف مالك بن نبي الحضارة من عدة جوانب، فهو تارة يعرفها من الجانب البنيوي (مركزا على بنية الحضارة وعناصر تركيبها) وتارة من الجانب الوظيفي (مركزا على وظيفة الحضارة) باعتبارها تؤدي دوراً في المجتمع وتارة يعرفها من جانب غايتها من حيث إنها غاية الحركة الاجتماعية في التاريخ، وبعبارة أخرى فهو يعطي التعريف التحليلي للحضارة الذي يبين كيفية تركيب الحضارة في عناصرها الأولية، ويعطي تعريفا للحضارة من خلال دورها (وظيفتها) في التاريخ، كما يحدد حقيقتها الرسالية[1].

فمن وجهة الوظيفة التي تؤديها الحضارة فإن ابن نبي ينظر إلى الحضارة بمقدار ما تقدمه من الضمانات للفرد تلك الضمانات التي يقدمها المجتمع لأي فرد من أفراده في مرحلة تاريخية معينة من مولده إلى مماته، أي إلى أن ينقضي وجوده الاجتماعي، هذه الضمانات هي بمثابة شروط ذات وجهتين: مادية ومعنوية، وبعبارة أخرى: إنها في الواقع جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما، أن يوفر لكل عضو فيه، جميع الضمانات الاجتماعية الآزمة لتطوره.فالفرد يحقق ذاته بفضل قوة وإرادة تنبعان من المجتمع الذي هو جزء فيه، فالحضارة أداء اجتماعي لمجتمع ما في التاريخ[2].

الحضارة إذن عند مالك بن نبي هي البداية للتقدم، وهي المحيط المناسب لإشاعة ثقافة العلم، وتبدأ الحضارة حين يتعلق الإنسان بمبدأ، سواء كان سماويا أو غير سماوي وحين تنتهي حياة الترحل والقلق[3].

---

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، 1996، ص 45.

[2] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دمشق، دار الفكر، 1988، ص 42.

[3] محمد العبدة، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، ط1، 1237ه/2006م، دار النشر جدة، ص 60.

2. مقومات الحضارة عند مالك بن نبي:

يرى مالك بن نبي أن الصعوبة تكمن في ثلاث عوالم:

عالم الأشخاص، عالم الأفكار، عالم الأشياء، حيث يقول: «إنه من الطبيعي أننا نتصور الخلل في عالم الأشخاص بكل سهولة إذا ما كان في عشيرة فئة تدعو إلى الشر، بمعنى أنهم مخربون، إذا كان جانب من الأمة يبني والآخر منها يخرب فهذا خلل كبير في عالم الأشخاص.

فالسارق وشارب الخمر والذي يستغل إخوانه هو حجر عثرة في طريق المجتمع، بل هو ذاته مرض متجسم»[1].

أما الخلل في عالم الأفكار فنراه مثلا في تاريخ الأمة الإسلامية حيث وجدنا الكثير من الصعوبات بسبب الخلل في عالم الأفكار، فلو أمكن –وأظن ذلك صعبا– أن نقوم بإحصائية للأفكار التي أدت إلى الكوارث الاجتماعية، فإن العد لا يحصيها وليس التاريخ إلا نسيجا من عمل الأشخاص وأفكارهم.

ومن عالم الأشياء، والخلل في عالم الأفكار إما أنه ينشأ من الخطأ في تحديد المفاهيم، أو في عدم ربط الأفكار بالطرق الصحيحة[2].وإن عالم الأفكار هو الذي يدعم عالم الأشياء، العالم الذي لا يقف على قدميه بدون العالم الأول، ولا يمكن أن يقوم على قدميه بنفسه إذا ما أطاحت به النوائب.

فقد رأينا كيف قامت ألمانيا وهي المستترفة والمنهكة جهدا ووسائل سنة 1945 بنهوض معجز خلال عشر سنوات.وقد سلف لي أن فسرت في دراسة أخرى هذا النهوض: بالإنسان والتراب والوقت، التي تفسر مجتمعة كل عملية اجتماعية ولكننا إذ ندفع هنا بالتحليل إلى أقصى حدوده من غير أدنى تغير في المعادلة: إنسان + تراب + وقت = حضارة.

---

[1] مالك بن نبي، تأملات، ترجمة: عمر مسقاوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط1، 1423ه/2002م، ص 22.

[2] المصدرنفسهص 23.

يمكننا بل يتعين علينا أن نقول: إن الإنسان هو الذي يحدد في النهاية القيمة الاجتماعية لهذه المعادلة.لأن التراب والوقت لا يقومان إذا اقتصر عليهما فحسب، بأي تحويل اجتماعي، ونحن إذا تساءلنا إذن: بأي شيء أنهض (الإنسان) الألماني وضعية بلاده أثناء هذا العقد المنصرم من الزمان؟

نكون ملزمين بالإجابة عن سؤالنا هذا بطريقة واحدة لا غير وهي أن أفكاره، وأفكاره فحسب، هي التي أتاحت له أن يحقق ذلك النهوض[1].أو يكون الخلل في عالم الأشياء، فتنشأ ثمة صعوبات أخرى، وهذه نراها ببساطة حينما تفقد الأشياء التجانس فيما بينها، فلا تؤدي أغراضها، وربما أحدثت الكوارث[2].

فلكي نقيم حضارة لابد من توافر الشروط الثلاثة هي: الإنسان، التراب، الوقت.ويقابل هذه الشروط محاور ثلاثة لا يمكن القفز عليها، أو تجاوزها أو إحداث تقديم أو تأخير فيها، وهي: تكوين عالم الأشخاص، تكوين عالم الأفكار، تكوين عالم الأشياء.والعامل المهم في تركيب الشروط الثلاثة الأولى، والمحاور المتممة للبناء هو الدين الذي يقوم بدور المزج والتفعيل حسب بن نبي أو عبر عنه بمركب الحضارة، الذي ليس في الإمكان تغييبه أو تهميش دوره فهو ثابت ومؤكد[3].

3. الحضارة الإسلامية:

إن بن نبي يقدم إطاره التحليلي لدراسة الحضارة مضمنا إياه جملة من الآليات والأدوات التي تحدد منظوره الحضاري بالمرجعية الأساسية وهي الوحي والنموذج النبوي، ولهذا فهو يؤكد أن من أهم المرتكزات لعلاج مشكلات الحضارة في العالم الإسلامي، الرجوع إلى الإسلام في صورته التي كان عليها عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح.باعتبار الإسلام هو الأساس لإعادة بناء حضارتنا، كما أن ابن نبي يعطي أهمية بالغة للفكرة الدينية في قيام الحضارة،

[1] مالك بن نبي، فكرة كمنويلث إسلامي، ترجمة: الطيب الشريف، دار الفكر المعاصر: بيروت، ط2، 1960، ص 52، 53.
[2] مالك بن نبي، تأملات، (مصدر السابق)، ص 24.
[3] بشير ضيف الله، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، ط1، 2005، بن مرابط، ص ص 77، 78.

ويعتبرها المركب الضروري للقيم الحضارية، الذي بفضله يحصل تركيب العناصر (الشروط) الأولية للحضارة.ويعتبر أن أي عملية بناء حضاري ينبغي أن تقوم على أساس من تمثل تجربة الجيل القرآني الأول[1].

ومشكلة العالم الإسلامي ليست في الإسلام، ولكن في عدم فهمه لحقيقته، فالإسلام لم يقف أبدا حجر عثراء أمام التقدم والتطور، ولكن المسلمين هم الذين وقفوا ذلك الموقف السلبي من الحضارة الغربية، فأخذوا قشورها بدل أن يأخذوا روحها والمسلم، حتى مسلم ما بعد الموحدين، لم يتخل مطلقا عن عقيدتهم فلقد ظل مؤمنا، وبعبارة أدق ظل مؤمنا متدينا ولكن عقيدته تجردت من فاعليتها، لأنها فقدت إشعاعها الاجتماعي، فأصبحت جاذبة فردية، وصار الإيمان، إيمان فرد متحلل من صلاته بواسطة الاجتماعي، وعليه فليست المشكلة أن نعلم المسلم عقيدته وهو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية وتأثيرها الاجتماعي[2].ومن هنا يجب أن يأخذ المسلم مسؤوليته في إعادة بناء المجتمع الإسلامي على أسس حضارية، كي يستطيع أن يتكلم مع الآخرين، فالمسلم اليوم من المنبوذين في هذا العالم، لأنه نبذ نفسه هو بأعماله، و لم ينبذه التاريخ[3].

أما في المجتمع الإسلامي فأقول له: أعد بناء حضارتك، فالحضارة هي فاعلية الإرادة الحضارية في الإمكان الحضاري لتوفير الضمانات الاجتماعية.فالمجتمع الذي يتمتع مثلا بكيان سياسي دون كيانٍ حضاري يكون وجوده خرافة من الخرافات، وخيالا من الخيالات، فهذا المجتمع قد يدوم، ولكنه سوف ينهار.فالمجتمع المغولي في القرن السابع دام مثلاً سبعين سنة، وانتهى دوره في التاريخ، لماذا لم يدم أكثر من هذا؟لأنه ليس بمجتمع متحضر، كان مجتمعا قوياً سياسياً، لقد دمر الطاغية ما

[1]بدران بن مسعود بن الحسن، كتاب الأمة، الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي، (مصدر سابق)، ص ص 74، 75.

[2]قادة بحيري، محطات اقتصاءدية من فكر مالك بن نبي، (مصدر سابق)، ص 89، من وجهة نظر العالم الإسلامي، ص 55.

[3]مالك بن نبي، مجالس دمشق، محاضرات ألقيت في عامي 1971-1972م، حول دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، دار الفكر بدمشق، ط1، 2005، ص 69.

دمر.اجتاح العالم، خصوصا العالم الإسلامي، لكنه هو نفسه تقوض حتى ابتلعته المجتمعات المتحضرة[1].

4. دور العامل النفسي في بناء الحضارة:

إن أول الأبواب إلى الحضارة، أن نواجه المشكلات مستبشرين لا متشائمين.فإذا ما واجهنا الأمور متشائمين فقد أصبحت في حكم الاستحالة، ومن العبث أن نفكر بأننا نستطيع التغلب على المستحيل، وهذا إذا مر بنا نحن، فقد أصبحنا نقول مسبقا إذا ما سئلنا: لماذا لا تفعلون هذا الأمر؟ إنه مستحيل.ويقابل هذا في الخطورة، نفس التساهل، إذا ما نظرنا إلى الأشياء على أنها أمر تافه لا قيمة له.ثم إن الباب الثاني الذي ينبغي أن نعود منه للحضارة هو باب الواجب، أكثر من تركيزنا على الرغبة في نيل الحقوق لأن كل فرد بطبيعته تواق إلى نيل الحق، والنفور من القيام بالواجب.إذن لسنا نريد من الفرد أن يطالب بحقوقه، فالطبيعة بحقوقه كفيل، بل ينبغي على مثقفينا وسياسينا، ومن يمثل كل سلطة أن يوجهوا الهمم إلى الواجب[2].

5. الحضارة الغربية:

يعتبر ابن نبي «رحمه الله» (المادية)، من أهم خصائص الحضارة الغربية.وفي تناوله لهذه الحضارة في كتاباته، فإنه يسجل ملحوظاته ويركز في تحليله على هذا البعد «المادية» في الحضارة الغربية وذلك ضمن مستويات مختلفة، سواء في الميدان العلمي، أو في الحياة الاجتماعية، التي يظهر فيها سلوك الفرد الغربي، أو في التعبير السياسي، أو حتى في سياق التعامل الحضاري مع بقية الحضارات، كما أن هذه

[1] مالك بن نبي، مجالس دمشق، محاضرات ألقيت في عامي 1971-1972م، حول دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، (مصدر سابق)، ص ص 70، 71.

[2] مالك بن نبي، تأملات، (مصدر سابق)، ص 30.

الخاصية تكاد تنظم كل الخصائص الأخرى حيث تشكل أحد أهم الجوانب في كل خاصية من خصائص الحضارة الغربية[1].

ويرى مالك بن نبي أن دراسة التجارب الحضارية أمر مهم، في سبيل البحث عن حل للأزمة الحضارية للعالم الإسلامي، وأن اهم الدوافع إلى ذلك، هو أننا بدراستنا لهذه التجارب الحضارية نتمكن من اكتشاف السر الذي يحكم الظواهر، والتمكن من معرفة القانون أو السنة الإلهية التي تنتظمها[2].

6. الحضارة على مرّ التاريخ:

لقد مرّت الحضارات الإنسانية عبر صيرورتها التاريخية بأحوال اتصلت فيها بعضها مع بعض، وأحوال أخرى لم يثبت حدوث الاتصال فيما بينها. ولكن في الغالب كان الاتصال قائما بين الحضارات، وقد تميز هذا الاتصال بفترات حدث فيها صراع وتصادم، وتنافس، وفترات أخرى كان فيها التواصل إيجابيا، إذ تعاونت وتعايشت وتحاورت فيما بينها.

وقد شكلت هذه الثنائية (الحوار والصراع) مادة غنية للبحث والنظر في أنماط وأشكال العلاقة بين الحضارات، ومن ثم فقد أوحت هذه الثنائية للمفكرين والباحثين بنظريات مختلفة كل حسب قراءته للتاريخ، فذهب فريق منهم إلى أن الصراع هو الأصل الذي يحكم العلاقة بين الحضارات. وما حالات السلم التي وجدت عبر التاريخ سوى مراحل اقتضتها ظروف تاريخية معينة، وهذه الرؤية تولدت عنها نظريات جعلت من الصراع الحضاري، منطلقا لها كنظرية قدم الحضارات **لصموئيل هنتنغوتن**. وذهب فريق آخر إلى أن العلاقة بين الحضارات غلب عليها التعايش والحوار والتسامح. أما الصراع الذي وجد بينهما فهو محدود بظروف معينة وهو طارئ واستثناء، وليس أصلاً لهذه العلاقة. وقد أخرجت هذه النظرة إلى حيز الوجود نظريات أخرى، جعلت من الحوار الحضاري حجر

[1] بدران بن مسعود بن الحسن، كتاب الأمة، الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي، (مصدر سابق)،ص126.
[2] المصدر نفسه، ص ص 214، 215.

الأساس في فلسفتها للحضارات، كنظرية حوار الحضارات لـــــ **روجيهغارودي**. ولذلك فقد أضحت ثنائية الصراع والحوار، هما الصيغتين المهيمنتين على قراءة أوجه العلاقة بين الحضارات[1].

[1]زياد عبد الكريم نجم، الكلمة، مجلة فصلية تعنى بشؤون الفكر الإسلامي وقضايا العصر والتجدد الحضاري، أنماط العلاقة بين الحضارات، نظرية تعارف الحضارات أنموذجا، ص ص 186، 187.

الفصل الثانـــي

فكرة المثقف في مذكرات شاهد القرن

مذكرات شاهد القرن كتاب أخرجه الكاتب المفكر والفيلسوف الجزائري **مالك بن نبي** عام **1966** بالفرنسية وطبع في الجزائر وفي بداية السبعينات صدر الجزء الثاني الذي يتحدث عن المرحلة الدراسية في باريس ابتداء من **1930 إلى** غاية **1939،"** ومذكرات مالك بن نبي مذكرات شاهد يتحدث إلينا خلف ستار، وهو يحاول أن ينقل إلينا تبصره بالأحداث وماهذه التفاصيل التي يقصها علينا إلا ليجسد رؤيته الفكرية عبرها، فشاهدنا شاهد بصر وبصيرة معا.

وهي بصيرة صاغتها أحاسيس جزائري امتد به عمق الحضارة الإسلامية إلى حدود الحضارة الغربية الحديثة فكان نقطة اتصال وتحول كما يقول في بداية شهادته[1]

"ومالك بن نبي لا يغفل عن إبراز القيم الأساسية التي ما يزال يحتفظ بها رجل الفكرة، وقد ورثها من أجيال سابقة حفظت التراث والقيم، وهو في الوقت نفسه يطرح أمامنا تهافت مثقفينا اللذين انغمسوا في الثقافة الغربية ومصطلحاتها وواقعها فانقلبوا في حركتهم التقدمية إلى الوراء(...) هذا الكتاب يحمل إلينا دفئ الأصالة ويهزنا حين يروي لنا صفاء الراعي والبدوي ووفائه إلى القيم والتزامه بما استقر في ضميره من تقاليد هي أقرب إلى روح الحضارة وأرسخ في خطا التقدم"[2]

ولهذا فهو شاهد أحداث هذا القرن فيما يروي. وكتاب مذكرات شاهد القرن هو عبارة عن سيرة ذاتية كتبت بأسلوب سهل وبسيط وجاءت لإبراز التكوين الفكري والفلسفي الذي مكن مالك بن نبي من معالجة مشكلة الحضارة وكشفت هذه المذكرات عن رؤيا للمثقف والمفكر كما أنها تميزت بالطابع السردي فهي تحمل لنا أفكار وأحاديث 34 سنة فالمرحلة الأولى سرد فيها نشأته وتكوينه أما المرحلة الثانية فسرد فيها حياته الجديدة والتي تميزت بتحولات وتطورات على

[1] –مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان 1404ه/1984م ص08

[2] المصدر نفسه ص ص 09-10.

كل المستويات فنلاحظ من خلال هذه المذكرات أن الراوي يناقش أفكار متعدد ويحاول إيجاد حلولا لها.

"تكشف المذكرات عن نضال صاحبها السياسي في ميدان الحركة الوطنية، كما تكشف عن مواقفه من الاستعمار والأحداث والتطورات التي عرفتها المرحلة المحلية الجزائرية والإقليمية العربية الإسلامية الدولية، وتبين في الوقت ذاته عن رؤاه النقدية في المنهج الإصلاحي السائد وفي مواقف التيارات الفكرية والسياسية الجزائرية"[1]

ويذكر في هذه المذكرات أهم مرحلتين في حياته:

1-مرحلة الطفولة.

2-مرحلة الدراسة.

[1] – شاكر لقمان، وقفات مع كتاب، مذكرات شاهد القرن للمذكر الجزائري مالك بن نبي، www.alukah.net

1-تكوينه الفكري في المرحلة الأولى [1905-1930]:

نشأ مالك بن نبي في فترة الاحتلال التي شهدت الحرمان والبأس على الشعب الجزائري حيث يقول: " **كان مولدي في الجزائر عام 1905 أي في زمن كان يمكن فيه الاتصال بالماضي عن طريق آخر من بقي حيا من شهوده والاطلاع على المستقبل عبر الأوائل من رواده"**[1] وقد نشأ في جو إسلامي حيث كانت عائلته وخصوصا الحاجة زليخة تحث من خلال قصصها على العمل الصالح والاحسان. فكانت مدرسته الأولى التي كونت مداركه

كما أن تمسك أهل تبسة بتقاليدهم ومحافظتهم على أخلاقهم وفضائلهم زرعت فيه حب التمسك بالأصالة فقد كان لبيئته تأثيرها واستقطابها لفكره.

وقد تنقل مالك بن نبي من مدرستين مختلفتين، فنال ثقافة عربية إسلامية، وثقافة غربية فرنسية. أخذ هذه الثقافة من مدرسته وبيئته، فقد كانت شوارع مدينة تبسة تشهد في الصباح قصص الحكواتي عن أخبار سيدنا علي أو قصص ألف ليلة وليلة أما في المساء فتعرض أفلام (**ماكس لينتر MAX LINTER**) كما أن طفولته في قسنطينة عرفته أيضا على وجه آخر للحضارة.

ولقد تأثر بأساتذته، فالشيخ عبد المجيد هو أول من تلقى على يده أسس الثقافة العربية وقد كانت الحركة الإصلاحية تتناقل جيلا عن جيل من الشيخ عبد القادر المجاوي إلى الشيخ مولود بن موهوب إلى الأجيال الناشئة في الجزائر. فقد تميزت الحركة الإصلاحية في الجزائر بالدوام والاستمرارية كما يقول في مذكراته.

كما أن الثقافة الغربية الفرنسية كان لها أثرها وذلك على يد مجموعة من المعلمين منهم: **مدام بيل موسيو مارتان** وبوبريتي وكثرت اطلاعه على الكتب العربية والغربية على جد سواء شكل نقطة تحول في فكره.

[1]-مالك بن نبي مذكرات شاهد القرن (م. س) ص15

وقد كان هذا الطفل يلاحظ ويدرك أن الإصلاح وان لم يكن له خطط وأسس إلا أنه كان موجود بالفطرة في شيوخ الجزائر.

2-تكوينه الفكري في المرحلة الثانية[1930-1939]:

تعد هجرته الى فرنسا من أبرز المحطات التي ساهمت في انتاجه الفكري والمعرفي، كما أولى مفكرنا في مذكراته أولوية للتعليم باعتباره أساس النهضة. نلاحظ في هذه المذكرات قوة الشخصية التي تميز بها مالك بن نبي وفرض ذاته أمام كل التحولات والصعوبات التي واجهها فكان حق مثال للمثقف فقد أخذ على عاتقه معالجة أمراض مجتمعه وعالمه الإسلامي الذي رافقه منذ طفولته. كما نلاحظ غياب التعصب الديني بدخوله الى وحدة الشباب المسيحين البارسيين واعترافه بفخر واعتزازه بأنه مسلم.

نلاحظ في هذه المذكرات مثالا ورمزا للمثقف والمفكر الذي ما انفك عن معالجة قضايا مجتمعه فكانت الكتابة ملاذا له وكاشفا عن أفكاره ومفاهيمه الدقيقة التي أثقلت كاهل المستعمر.

لقد أفصحت هذه المذكرات عن شخصية صاحبها وبينت التوافق والتكامل الذي يجب أن يدركه عالمنا الإسلامي ومثقفينا هو التوافق بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية إنما كرس عليه مالك بن نبي حياته لم يذهب سدى فقد أثبتت نظريته نجاحها في بعض الدول التي تبنتها مثل ماليزيا.

المبحث الأول: المثقف الطفل

يستهل مالك بن نبي ذكر هذا الجزء بمقدمة، يوضح من خلالها أنه أثناء قيامه بالصلاة في المسجد ألقيت إلى جانبه ربطة حسنة التغليف، تضم أوراق خط على واجهتها مذكرات شاهد القرن وبعد قراءة عدة صفحات رأى في نشرها إرجاع إلى صاحبها فهذا الكتاب يحمل أفكار جزائري يتحدث إلينا من وراء حجاب. والقسم الأول: **الطفل** يبرز من خلاله عدة مؤثرات ساهمت في نمو الوعي لديه منذ أن كان صغيرا وكونت فكره واتساع رؤيته.

1-أثر العائلة في تكوينه:

كانت الحاجة زليخة جدته لأمه تنمي فكره من خلال سردها للمشاهد والقصص القديمة والتي تبرز مدى تمسك الجزائريين بشرفهم وقيمهم وأخلاقهم ولو على حساب حياتهم. يروي لنا مالك بن نبي التحول الاجتماعي الذي طرأ على الجزائريين جراء الاستعمار الفرنسي، فقد كانت عائلته من بين العائلات التي ساعدت أوضاعهم المادية. كما أن العادات الأخلاقية والاجتماعية اعتراها أيضا التحول والتغير من جميع النواحي حيث يقول: «**لقد بدأ المجتمع القسنطيني يتصعلك من فوق ويسوده الفقر من تحت حتى ملابس الرجال شملها هذا التطور المتدهور، ففي شوارع قسنطينة بدأت تختفي العمائم والبرانس والملابس المصنوعة من الأقمشة المطرزة والمخازن التي كانت تصنع فيها تلك السلع كمخازن الصدارين بدأت تقفل واحدة تلو الأخرى وأخذت تظهر أكثر فأكثر في هذه الشوارع البضائع الأوروبية، وأحيانا الاثواب المستعملة مستوردة من مرسيليا**»[1]

[1]مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن القسم الأول: الطفل 1905-1930 بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان. ط2 1984م-1404ه ص18

وأمام هذه المتغيرات كانت جدته تواصل سردها عن العمل الصالح وفعل الخير فكان زرع القيم الإسلامية في نفوس الأطفال أمرا أساسيا في عائلته ومن الأولويات حيث لم يحل الفقر بينه وبين تعلمه وحفظه للقرآن يقول في هذا الصدد: «**ولا أزال أذكر كيف أنها اضطرت ذات يوم لكي تدفع لمعلم القرآن الذي يتولى تدريسي بدل مال سريرها الخاص وأذكر أنه كان مصنوعا من عدة ألواح من الخشب رفعت على صدقا متين وكان هذا يسمى في الجزائر آنذاك (السدة)**»[1]

وكان يشاهد تمسك أجداده بتاريخهم وتقاليدهم والحرص الدائم على نشرها

2-أثر بيئته:

كانت طفولته بين مدينة تبسة وقسنطينة تره أوجه الاختلاف بينهما في العادات والتقاليد، إضافة إلى الأثر النفسي الذي خلفته كل من المدينتين، حيث يقول: «**كانت أحاسيسي في تبسة تختلف عنها في قسنطينة فهناك الحياة الطبيعية والرجل البسيط الجاف، كان هؤلاء جميعا يجاورون روحي أما قسنطينة فالتاريخ والمجتمع ومأساته الواضحة بالشكل الظاهر، تساءلني دون أن أدري في الغالب تساؤلاتها ولكنني مع ذلك أشعر بها**»[2]

ويذكر مالك بن نبي أن الأحداث السيئة التي كانت تحدث في محيطه أظهرت صراحة أفكاره واتجاهه الفكري، كما يشير في هذه المذكرات إلى البعد الثقافي إلى سكان تبسة، فيذكر حب قراءة سكانها إلى الجريدة الأمر الذي كان يغذي عقولهم ويطلعهم على الأحداث العالمية. كما أن تنوع قراءات مالك بن نبي وفطنته بكل شيء يجري من حوله شكل بعدا جديدا في فكره إضافة إلى الأشخاص الذين كانوا يكونون شخصيته سواء كانوا من محيطه أم كتاب فأصبح هذا الطفل يرى المستقبل من زاوية جديدة، وسرد مالك بن نبي الأوضاع السائدة في العالم وكيف كان

[1]- ما لك بن نبي، مذكرات شاهد القرن (م. س) ص19

[2]-المصدر نفسه ص85

تأثيرها في الجزائر فكان يرى بدقة أعمال الفرنسيين الذين كانوا يحرصون على محو تاريخ كل منطقة من الجزائر وزرع تاريخهم

ينقل لنا المؤلف في هذا القسم الجانب الاجتماعي وذلك لأنه أساس كل التغيرات والتطورات التي حصلت حيث يقول: «**لقد بدأت الروح الاجتماعية تتجلى في تبسة، وها هو ذا المجتمع الجزائري الجديد قد ولد، فالمجتمع ليس كلمة تقال بل هو حقيقة ذات خصائص محددة، بها يكون المجتمع أولا يكون، وأدعياء الثقافة الذين أطلقهم الاستعمار في السوق الجزائرية والذين احتكروا بفضله وسائل التعبير، وقد شوهوا الأفكار الأكثر بداهة وبساطة**»[1]

3-إلتحاقه بالمدرسة الفرنسية: لقد أرسلوني إلى المدرسة الفرنسية إلا أنني في الوقت نفسه ثابرت على التردد إلى مدرستي القديمة لتعلم القرآن، فكنت أقصدها كل يوم في الصباح الباكر لأكون فيما بعد عند الثامنة صباحا في المدرسة الفرنسية، وكنت أجد في ذلك صعوبة كبيرة أضف إلى هذا أن الفارق الذي كنت أحس به بين المعلمين كان يجعلني لا أطيق هذا الوضع فبدأت أتغيب عن مدرسة القرآن القديمة وسجادة الخلفاء مما كان يعرضني لعقاب متواصل من أبي ومن معلم القرآن وهذا زادني كرها لمدرسة القرآن واستمرار هذا الوضع جعل حالي تسوء في المدرستين وهكذا اقتنع والدي فانقطعت عن مدرسة القرآن القديمة لأنني لم أتعلم الكثير على الرغم من السنوات الأربعة التي سرفتها فيها[2] وقد أكسبه الالتحاق بالمدرسة الفرنسية حب التعلم والتفوق

4-الصراع السياسي في الجزائر:

يشير مالك بن نبي إلى الأوضاع السياسة في الجزائر وما تضمنته أحداث الانتخابات حيث يقول: «**هكذا انتعشت الحياة في المدينة فجأة وسادها جو من الصراع السياسي إذ كانت الأيام التي تسبق الانتخابات البلدية حافلة بالنشاط، أما الأمسيات التي عقبت ظهور النتائج الانتخابية**

[1]- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن (م.س) ص168

[2]-المصدر نفسه ص24

فكانت أكثر حرارة التي ينظمها الحزب الفائز في شوارع المدينة ولم تكن المواكب لتكتفي بالتجوال في الشوارع والأزقة، بل كانت تتوقف أمام منازل من ينتمون للحزب الخاسر للطرق على أبوابها بالعصي»[1]

كما يشير إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى حيث كان لها صدى في الجزائر خاصة في الجانب الاقتصادي والذي فرض بدوره تحولا في مظاهر الحياة

5-عودته إلى قسنطينة: كانت عودته إلى قسنطينة لها أثر عميق في نفسيته حيث يقول: «**لم أكن أعرف كيف أسير، لكن حقائق (الشارع الوطنيNATIONAL) الذي مشينا فيه أثارت انتباهي وكذلك خيول العربات القادمة من المحطة تحمل مسافرين تضرب إيقاعا بحوافرها على البلاط الصلب على الطريق، لقد أسلمتني هذه الضجة في الواقع إلى صورة تختلف عن أختها في تبسة»**[2]

يسرد لنا مالك بن نبي يومياته في هذه المدينة والتي لم تسلم من التغير، فأخذ المجتمع يغير إطاره وكان هذا الطفل يشاهد الجو الإصلاحي في مشايخ قسنطينة ويتعرف على العالم من خلال ما يسمعه من أحاديث. وأثناء عودته إلى تبسة شاهد التدهور الذي حل بها فأضحت عائلاتها غير قادرة على الحياة

6-دخوله إلى المدرسة الثانوية:

رشحه تفوقه في المدرسة الابتدائية إلى دخول المدرسة الثانوية وهذا امتياز لم يحظى به أبناء المستعمرات، كما أنه كان يطمع لدراسة القضاء الشرعي.

[1]-مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن (م.س) ص27

[2]-المصدر نفسه ص32

يشير مالك بن نبي أن فرنسا كانت تكون الفرنسيين في المدارس تكوينا فرنسيا يخدم مصالحها مستقبلا، في هذه الفترة بدأ يتعرف على عالمه الجديد، حيث يقول: «**في هذا المكان سوف أقضي سنتي الأولى في المدرسة، كان في الجهة المقابلة (قلماوي) ولست أدري إذا كان اليوم قاضي الشرع أو قاضيا مدنيا أما السريران الآخران فكان أحدهما لطالب من باتنة من عائلة تنتمي لطبقة التجار يدعى (فضلي)، والثاني يدعى (قاواو) ابن أحد رجال الدرك، كان الأول ناضجا أما الثاني فكانت لديه عادات طفل لم ينضج بعد، على كل كنت ألاحظ فيها خلقا مرهفا أو شيئا مما يسمى البراءة**»[1]

ويواصل وصف الأمكنة والأشخاص الذين تعرف عليهم فكانت يومياتهم في المدرسة مع رفاقه تطلعه على الجانب السياسي للبلاد وتزيد من وعيه، إضافة على تأثير الكتب في فكره حيث يقول: «**كانت هذه الكتب تصحح مزاجي، ذلك الحنين إلى الشرق تركه في نفسي كتب (فاريرولوتيFARRERE LOTI) وحتى لامارتين أوشاتوبريان فعرفت تاريخ الشرق وواقعه وأدركت بذلك ظروفه البائسة الحاضرة. هذه القراءات شكلت بالنسبة لي قوة أخرى من التنبيه في المجال الفكري إذ حالت دون انجراف في الرومنطيقية التي كانت شائعة في ذلك الجيل من المثقفين الجزائريين**»[2]

وقد أخذ الأدب العربي حظا من اهتمامه فكان الشعر الجاهلي والشعر الجديد ملاذا له

7-أثر عبد الحميد بن باديس على فكر مالك بن نبي:

كان منظر (الشيخ بن باديس) عند مروره على مقهى بن يمينة في طريقه على مكتبه قد بدأ يثير اهتمامنا فكثير من أفكارنا وآرائنا تتصل بشخصيته أكثر من اتصالها بالشيخ (بن موهوب)

[1]-مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن (م.س) ص 59

[2]المصدر نفسه ص 66-67

الذي كان أول من زرعها في نفوسنا، وربما كان ذلك لأن الشيخ بن باديس قد بدأ في نظرنا خارج الإطار الاستعماري[1]

ويشير مالك بن نبي إلى طبقة المثقفين الجزائريين الذين كانوا يشترون بالخيانة مراكز ومناصب من الإدارة الفرنسية

البحث عن عمل:

كانت تراوده فكرة السفر إلى فرنسا رفقة صديقه (قاواو) فيسرد هنا كيف كان التخطيط للسفر حتى من الناحية الجمالية والحضارية كطريقة الأكل وأسلوب اللباس. وعند نزوله بمرسيليا بدأ يكتشف عالم جديد لم يره، فتوافد الجزائريين إلى فرنسا بصورة غير مشروعة زاد من سوء حالته وبعد هذه المغامرة التي لم تستمر طويلا عاد إلى الجزائر وبدأت فكرة البحث عن عمل تشغله إلا أن صغر سنه حال دون ذلك. في مارس من عام **1927** ذهب إلى آفلو من أجل العمل في المحكمة أين اختلجه شعور الاغتراب وذلك لاختلاف اللهجة وغرابتها عليه إضافة إلى العادات والتقاليد.

وبعودته إلى تبسة وجد الإصلاح والدعوة إليه تعم المكان فقد أضحت المقاهي مركزا لذلك إلا أن مصير مستقبله كان مجهولا لديه حيث يقول: «و هكذا بقيت أبحث عن مستقبلي، وفيما أن أوزع وقتي بين أمي التي أحب صحبتها كثيرا والنادي الذي كنت أحرك فيه مع أصدقائي الأفكار الجديدة، ومقهى(**باهي**) حيث كنت أستمع للأسطوانة المصرية، كان السؤال الدائم يقلب في ذهني وجوهه (**ما لعمل**)؟»[2]

وبعد خيبة الأمل قرر السفر إلى فرنسا لإتمام دراسته.

[1]- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن (مصدر سابق) ص130

[2]- المصدر نفسه ص188

المبحث الثاني: المثقف الطالب

يستهل **مالك بن نبي** في تقديم هذا الجزء من وراء حجاب مثل: **الجزء الأول** على أساس أن هذا الكتاب الملفوف بغلاف سميك، وجده في المسجد وهو يصلي، وكان عنوان الصفحة الأولى: "**مذكرات شاهد القرن**"، وفي الصفحات الأخرى اسم المؤلف **الصديق**، وبعدها يواصل سرد الأحداث في فترة ما بين**1930-1939م.**

1-الهجرة إلى فرنسا: "لم تكن أفكاري قد استقت بعد، مع وضعي الجديد منذ نزلت في صبيحة يوم شهر أيلول عام 1930 بمحطة ليون بباريس ولم تكن الأمور تقررت نهائيا في نفسي، منذ فارقت قبل أسبوع أهلي، وودعت الأقران بتبسة، وإنما الشيء الوحيد الذي قررته هو أنني لا أعود هذه المرة للوراء، مثلما عدت المرة الأخيرة بعد النكسة التي أصابتني مع صديقي (**قاواو**) في صيف **1925**. عزمت على ألا أتراجع، وهذا العزم هو الشيء الوحيد الذي كان واضحا لدي إلى درجة نسبية لا تجعلني أخطط ما سيتيح نزولي بباريس" [1]

واستقبلته باريس ببناياتها الطائشات، ذلك الوجه الذي لم يعتده "**الوجه القبيح**"، كما أن لهذه المدينة وجوه أخرى تميلها له الأيام.

وكانت التجولات الإستطلاعية، في أجواء باريس الآسرة للنفس تعرفه على تفاصيل الحياة الفرنسية، وذوقها الجمالي وجانبها الحضاري الذي كان يلتمسه في متحف **الفنون والصناعات** قرب **سان دونيس.**

[1]--مالك بن نبي مذكرات شاهد القرن، القسم الثاني: الطالب 1930-1939 بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان ط2 1404ه/1984م ص203

2-الدخول إلى معهد الدراسات الشرقية:

فقد كانت فترة انتظاره ليوم امتحان الدخول إلى **معهد الدراسات الشرقية،** فترة استطلاعية اتسعت دائرتها يوم بعد يوم، ووقفت ملاحظاته التي استجمعها من جراء هذه التجولات الاستطلاعية، أن المجتمع الفرنسي يبسط الأشياء لا يعقدها فمثلا استعملوا كلمة **المترو** بدل **المتروبوليتان** وهذا ما شد اعجابه حيث يقول: «إنني أستعذب فعلا لهذا الميل الطبيعي للتبسيط مادام في الحدود السليمة»[1]

وقد استقبلته **الوحدة المسيحية للشبان البارسيين** بوجهها البشوش حيث أصبح أول عضو مسلم فيها وقد تكامل فيها تكوينه الروحي الذي لا تحققه الشهادات وهذا بفضل التركيب المتنوع في العروق المتباينة. وبينما هو يتعرف على عالمه الجديد أتى يوم الامتحان «**لقد طلبني مدير المعهد وفي هدوء مكتبه الوقور شرع يشعرني بعدم الجدوى من الإصرار على الدخول إلى المعهد فكان الموقف يجلي لنظري بكل وضوح هذه الحقيقة، إن الدخول لمعهد الدراسات الشرقية لا يخضع بالنسبة إلى المسلم الجزائري لمقياس علمي إنما لمقياس سياسي ونزلت كلمات المدير على طموحي، نزول سكين المقصلة على عنق المعدم، فكان هذا الفصل الأول مأساة خيبة الأمل وعدم جدوى العمل وحدي**»[2]

3-الإلتحاق بمدرسة الاسلكي: ولكن هذه الخيبة أتاحت له الفرصة الانتساب إلى درجة **مساعد مهندس،** حيث يقول: «وانطلقت يحركني إيمان الوارد على دين جديد وكانت هذه الفترة الدراسية بالنسبة لي لا تقف عند حدود تهيئتي لدخول مدرسة الاسلكي بل غيرت جذريا اتجاهي الفكري إذ أنها أسكنت في نفسي شيطان العلوم ولم يكن الأب **مورو** قد فتح أمامي باب مدرسة معينة بل

[1]-مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن (مصدر سابق) ص208

[2]- المصدر نفسه ص ص 216-217

فتح لي باب عالم جديد يخضع فيه كل شيء إلى المقياس الدقيق للكم والكيف، ويتسم فيه الفرد أول ما يتسم بميزات الضبط والملاحظة» 2 [1]

«وكنت بهذا الطريق أيضا أدخل الحضارة الغربية من باب آخر، بعد أن دخلت من باب **وحدة الشباب البارسيين المسيحين**»[2]

وقد غيرت مدرسة **الاسلكي** من هذا الرجل حيث، أصبح تحصيل العلم حلمه وهمه الوحيد وذلك لما يعاني وطنه ومجتمعه من أزمات وانحطاط كما أن صورة والدته كانت رمزا على الإصرار والعزيمة على النجاح في حين أصبحت **الوحدة المسيحية** هي الأخرة منارة للفكر وتعدد الرؤيا.

4-الإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم: وقد كان يروي تفاصيل معيشته في باريس ومنها المسيئة للإسلام، وللرسول صلى الله عليه وسلم حيث علقت لافتة تتضمن إعلانا شعريا نصه: **«ومحمد مات بعدما اعترف أن لا إله إلا البا»**

«الذي ترك في دائرتي جرح لقد كان فعلا جرحا لم أستطع تحمله ذلك اليوم و لم أعرف كيف أشفي غليلي ولا على من أصب غضبي، بسببه غير أن فكرة غا مضة توجهني إلى الحي اللاتيني بعد أن نقلت على كراستي نص الإعلان الشنيع فحاولت أن أصب غضبي في ضمير إخوتي الطلبة الجزائريين، فلم أوفق وانقلب غضبي في ضميري إلى هيجان الكلب المسعور، فتوجهت إلى مسجد باريس لعلي أجد مديره المشرف على الشئون الإسلامية فلم أجده و لم أبقى إلا أن أسلم الورقة التي نقلت عليها شعر إلى إمام المسجد راجيا منه أن يسلمها إلى المدير سيد بن غبريط حالما يعود»[3] وكانت العادات والتقاليد الجزائرية تقدم بنقد فيه تشويه وتشنيع كلما سنحت الفرصة وذلك من قبل الجزائريين. كما أن اليهوديين كانوا يغتنمون الفرص للانقاص من قيمة العرب

[1]- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن (مصدر سابق) ص219

[2]-المصدر نفسه ص 219

[3]- المصدر نفسه ص 230

5-مناقشات مع حمودة بن ساعي: وكان لوصول***حمودة بن الساعي** الأثر على فكر واتجاه **مالك بن نبي:** «ولكن بعد أربعين سنة عندما تعود لي اليوم بعض ذكريات تلك الفترة أدرك أنني أدين إلى حمودة بن الساعي باتجاهي كاتبا متخصص في شؤون العالم الإسلامي حتى ولو أنني لم أنجز معه أي عمل بعيد المدى يجب أن أقول أنني أنجزت معه كل الأعمال اليومية الخاصة بالطلبة المغاربة بالحي **الآتيني**»[1]

وقد كانت حياته تتغير شيئا فشيئا رفقت زوجته خديجة التي عرفته على معالم الحياة الأوروبية

6-النشاط السياسي والاصلاحي: ولم يكن فكره بعيد عن الوطن فقد كان مطلعا على الأوضاع السياسية في الجزائر كما أن النشاط الإصلاحي كان حاضرا في باريس بعدما منع في الجزائر حيث يقول في هذا الصدد: «**فاجتمعت مع حمودة بن الساعي وابن عبد الله في مقهى الهجار بالحي الآتيني وانضم إلينا بعض العاملين على البر من الطلبة الجزائريين، وتسلم كل واحد نصيبه من المنشورات لتوزيعها**»[2]

وقد كان «فريد **زين الدين** نائب وزير الخارجية للجمهورية العربية المتحدة زمن الوحدة بين **سوريا** ومصر مكلفا بدعوة الطلبة العرب الموجودين بالعاصمة الفرنسية، لتشكيل جمعية الوحدة العربية وأصبح محمد الفاسي وبلفريج والطوريس يمثلون مراكش في الوحدة، **وبن ميلاد** مع بعض مواطنيه يمثلون تونس، وأصبحت أنا أمثل الجزائر. وكانت سوريا مع لبنان ممثلة في شخص **فريد زين الدين** وبعض مواطنيه ممن يقرضون الشعر، فكانوا عند افتتاح أو ختام كل جلسة يشنفون مسامعنا بآخر قصيدة لهم في تمجيد العرب»[3]

كما أن المناقشات مع حمودة بن الساعي تتنوع بين علمية وسياسية ودينية واجتماعية وتدور أيضا عن أوضاع تسيير الأمور من طرف المسؤولين في الجزائر عن المعركة الإصلاحية.

---

*حمودة بن الساعي مفكر وفيلسوف جزائري، من أعلام الفكر الإسلامي في القرن العشرين صديق وأستاذ لمالك بن نبي توفي سنة 1998 انتقل إلى باريس ودرس بجامعة السوريون

[1]- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن (مصدر سابق) ص235-236

[2]- المصدر نفسه ص243.

[3]- المصدر نفسه ص ص249 250.

7-العودة إلى الجزائر: وفي صيف عام 1933م توجه مالك بن نبي إلى الجزائر ومعه زوجته، التي أقامت في عائلة مسلمة، أدرك من خلالها عادات وتقاليد العائلة الجزائرية، في حين توجه إلى تبسة أين أسره سحر نجومها وطبيعتها الخلابة كما أنها اتسمت بجوها الإصلاحي فقد أتى ***الشيخ الابراهيمي**، وألقى درسا بقي أثره في النفوس أشهرا عديدة

وهذه الفترة مكنته من التعرف على ثقافة الأشخاص والتي أعتبرها حالة مرضية تعتري كل مثقفي العالم الإسلامي، فالمثل الأعلى إما أن يكون في الشرق، وإما في فرنسا حيث يقول: «**وهي بالتالي ظاهرة عامة: إن كل مجتمع فقد حضارته يفقد بذلك كل أصالة في التفكير أو في السلوك أما أفكار الآخرين**»[1]

وبعد عودته إلى فرنسا تعرف على أم زوجته، والتي تعرف من خلالها على الوجه الآخر من المدينة، حي القرى والأرياف الوجه الحقيقي للحضارة، لأنها صلة الانسان بالتراب وأصبحت هذه الرحلة إلى الريف تطلعه على تفاصيل الحياة الاجتماعية الثقافية، فيقول: «**إنني أذكر هذه التفاصيل لأنني أعدها دالة على تطور نفسي الذي سيجعلني أشد الناس نفورا لكل ما يسيء لذوق الجمال، ولأنها تفسر ثورتي على بعض جوانب تخلفنا التي تصبح موضوع سخرية في بعض المجالات**»[2]

وأثناء سفره إلى عنابة التمس التغير الذي طرأ عليها إذ هاجر الإسلام بيوتنا فأصبحت العائلات لا هم لها سوى الاندماج في الوسط الأوروبي للحفاظ على مكانتها في حين فقد هذا الأخير قيمه الحضارية والأخلاقية، وأخذ صورة التخلف وحين عاد إلى تبسة سردت له والدته تفاصيل حجها الذي انتظره بشوق فيقول: «**وكانت كأمها الحاجة زليخة تتمتع بميزة القصاص**

*محمد البشير الابراهيمي من أعلام الفكر والادب العربي خليفة عبد الحميد بن باديس في رئاسة جمعية العلماء المسلمين، رائد الإصلاح في الجزائر له سلسة مقالات بعنوان **عيون البصائر.**

[1]- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، (مصدر سابق) ص 267.

[2]- المصدر نفسه ص273

الماهر، تلك الميزة النادرة عند من لا يقرأ ولا يكتب فقصت علي قصة حجها بكل ما تحتاجه القصة من تنوير في بعض نواحيها وما تقتضي من تظليم في نواحي أخرى»[1]

أما قصص والده فكانت ذات طابع سياسي، وهكذا استمرت أيامه السعيدة رفقة عائلته الى أن جاء يوم السفر وعاد الى باريس.

8-المناقشات الفكرية: عادت أمسيات ليلة الجمعة رفقت حمودة بن الساعي التي تميزها المحاورات الإسلامية والتي طرحها **الغزالي وزكي مبارك.**

«كان كل واحد من أصدقائي يضيف بعدا للكيان الفكري أناقش مع حمودة القضية الإسلامية من ناحيتها **الأيديولوجية،** ومع أخيه صالح أناقشها من وجهتها **الاجتماعية،** ومع أحبابي من جمهورية ترفيز أتناول الموضوعات الثقافية، ويسليني صديقي الباسكي بحديثه عن سلوك بعص معارفه من طلاب مدرسة **الفنون الجميلة** وكان طبعا حديثي في المدرسة عن الأشياء التقنية»[2]

كما أن الأحداث التي تقع في فرنسا كان لها صدى في الجزائر، حيث يقول: «**وكان والدي مهتما بهذه الاحداث شأنه شأن كل جزائري يعتقد في تلك الفترة أن كل تغير حكومي في باريس سوف يغير مصيره**»[3]

وهذا الاهتمام مس أيضا مالك بن نبي حيث كان متطلعا على أخبار الدول العربية، فيضيف قائلا: «**الأمر الذي لا شك فيه والي كنت حسب اعتقادي أعلم المسلمين به، هو أن الاستعمار كان يتضايق كثيرا من تولي دولة السعودية على الأرض المقدسة لأنها ستصبح هكذا**

[1]- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، (مصدر سابق) ص 292

[2]- المصدر نفسه ص 300

[3]- المصدر نفسه ص 304

منارة إشعاع الفكر الوهابية يعني نظري سيطرة الفكرة الإسلامية الوحيدة التي تصلح بما فيها من طاقة متحركة لتحرير العالم الإسلامي المنهار منذ سقوط الخلافة ببغداد»[1]

9-وفاة والدته: وبعدما أتته برقية من الجزائر تدعوه والدته هو وزوجته للعودة سافر إلى بلده لكنه صدم بالفاجعة: «**فوقفت كأنما نزلت على رأسي صاعقة، وكأنما الأرض تزلزلت تحت أقدامي وفي لمح البصر تحولت عواطفي من السعادة القصوى إلى المصيبة الدهماء. إنني لا أجد الولدة اليوم في انتظاري كالعادة من أعلى درجة»**[2]. وكان لهذا الحادثة الأثر البليغ في نفسيته في حين أصبت الأحداث تتطور فقد قدم النواب استقالتهم إلا أن محافظ قسنطينة قد أعطى إنذار شديد اللهجة مفاده هو التراجع عن الاستقالة.

وحينها أدرك مالك بن نبي أن: «**النخبة المثقفة ولجت بكل وضوح طريق الخيانة وإن الاستعمار بدأ يستخدم الزعماء لألقاء الحيرة والريبة في الضمائر مفضلا هذه الطريقة على اتخاذ الإجراءات الصارمة التي لا تزيد إرادة الشعب إلا صلابة»**[3] ويضيف قائلا «**كان ذلك الصيف يمتاز بالأحداث ذات الدلالة على تغير البلاد المعنوي في وجهات شتى، فامتاز أحد هذه الأحداث بصدى خاص داخل الوطن وخارجه»**[4] وإن الألفة التي سادت طول قرون بين المسلمين واليهود أصبحت تتلاشى بسبب إيذاء اليهود للمسلمين والتعدي على حرماتهم.

10-ما قبل الحرب العالمية الثانية: وبعد وفاة والدته وعودته إلى فرنسا، عادت المسائل الشائكة التي تواجه العالم الإسلامي وخاصة المشكلات ذات الطابع الحضاري وهذه المسائل قد عمقت النظرة تلك الفترة. كما كانت الأحداث قبيل **الحرب العالمية الثانية** تتطور حيث يقول: «**كانت**

[1]- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، (مصدر سابق) ص 306

[2]- المصدر نفسه ص 312

[3]المصدر نفسه ص316

[4]- المصدر نفسه ص316

الحقبة ممتلئة بأحداث ذات دلالة بالنسبة لمن كان فيها مهتما بسير تاريخ العالم وبتاريخ إحدى الجهات مثل المغرب خصوصا.

وإذا كنت لا أدري التسلسل الزمني لتلك الأحداث بالضبط وذلك فيما يخص الجهة التي تهمنا، فإنني أعلم مع ذلك أنها من تلك الحقبة التي حولت العالم»[1]

ويروي مالك بن نبي التغير المناخي والاجتماعي الذي طرأ على مدينة تبسة فالجو الصحراوي الذي تحولت إليه كان يقابله اخضرار دروكس وطبيعتها الهادئة التي كانت مسكنة لآلام الأيام حيث يقول: «**قضيت أوقاتي أتنفسح بين الغابات الصغيرة التي تحف القرية بمنطقة هادئة يجد المريء نفسه على مساربها الخضراء مرتاحا من متاعب الدنيا»**[2]

ورغم الأحداث الصعبة المفاجئة التي كانت تحدث إلا أن خديجة كانت تتأقلم وتتماشى مع الظروف وكانت السند الداعم والدائم له

11-خيانة المثقف: ويستمر بذكر تنقلاته الكثيرة من مدينة إلى أخرى ومن منطقة إلى منطقة وأعماله الفكرية مع حمودة بن الساعي وأخيه صالح كما أن العقول الفكرية بدأت تتوافد إلى باريس فمنهم *مصالي الحاج ووفد من علماء الأزهر وطلبتها في حين صدر مقال عنوانه **أنا فرنسا** لصاحبه ***فرحات عباس** الأمر الذي شكل صدمة داخل الوطن وخارجه فرد عبد الحميد بن باديس في مجلة الشهاب ردا لم يسكن ثورة **علي بن أحمد** إلا أن اتفقا على أن يحرر مالك بن نبي ردا في

---

[1]- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، (مصدر سابق) ص334

[2]- المصدر نفسه ص355

*مصالي الحاج الملقب بأبو الأمة وهو مؤسس حزب نجم شمال إفريقيا تمسك بالنضال السياسي كان رائد الاستقلال أنشأ جريدة الأمة الاقدام البرلمان الجزائري توفي بفرنسا 3 يونيو 1974

* فرحات عباس رجل سياسي وأول رئيس للحكومة الجزائرية المؤقتة نادى بسياسة الإدماج وبصياغة دستور جديد للجزائر ضمن الإتحاد الفرنسي في 8 ماي 1945ألقي القبض عليه في سنة 1946 بعد هذا أسس حسب الإتحاد الديموقراطي للبيان الجزائري توفي في 23 ديسمبر 1985

جريدة الأمين العمودي (الدفاع) باللغة الفرنسية حيث يقول: «ولأول مرة في حياتي واجهت عملية توليد الفعل في مقالة اخترت لها عنوانا(مثقفون أم مثقفون؟) نحت فيه المفردة الثانية في لحظة سانحة حرية أرشقها بكل جهد في كبرياء وبلادة **(الزعيم)** مقالا لأنني كنت على وعي تام مع حمودة بن الساعي بالمهزلة التي بدأت في الجزائر والاختلاس الكبير الذي بدأت خيوطه تظهر على مسرحنا السياسي منذ أن ظهرت على اتحادية النواب، كما كنت أدرك أن الصراع لم يكن صراع أفكار وإنما صراع مصالح تشرف عليه سلطات عليا متظاهرة بمقوماته أحيانا عندما تعلن غضبها على هذا (العدو لفرنسا) أو ذاك حتى يرى الشعب المغرور لتلك العداوات بطولات توجب عليه السمع والطاعة لأصحابها[1]

لكن هذه المقالة لم ترى النور: «لماذا لم ينشر الأمين العمودي مقالي؟ تركت الجواب على هذا السؤال للأيام»[2].

12-تأسيس المؤتمر الإسلامي: وبعد أيام انعقد المؤتمر الإسلامي الذي طال انتظاره حيث يقول في هذا الصدد: «**ولكن الجزائر التي كانت تستطيع كسب انتصار كبير على الاستعمار بثمن غال لم تعد بعد تجيد الحفاظ عليه إذ أنها عوضا على أن تبقي المعركة على الأرض التي تحقق عليها نصرها تنقلها وتورطها على أرض الخصم**»[3]

13-رسوبه في مدرسة الميكانيك: وبعد رجوعه إلى دوركس قدمت له زوجه خطابا من مدرسته مفاده: «إن سكرتارية المدرسة الخاصة بالميكانيك والكهرباء تخبركم بأنكم لم تستوفوا شروط الامتحان في بعض المواد...»[4]

[1]- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، (مصدر سابق) ص 360

[2]- المصدر نفسه ص361

[3]- المصدر نفسه ص365

[4]-المصدر نفسه ص367

«قرأت هذا ولا أدري إذا كان المحتوى قد هالني في رجاء بطريقة غير متوقعة أم مسني أكثر بمعناه الأخلاقي؟»[1].

وبدأت الأحداث تتوالى حيث اغتيل مفتي الجزائر الشيخ بن كحول وبدأت الطعنة تضرب صدر المؤتمر الإسلامي حيث يقول: «**وتبخرت في لحظة تلك الوحدة المقدسة التي تضمن في صف واحد كل القوة الشعبية بعد ربع قرن من سير حثيث موفق نوحها**»[2]

ويضيف قائلا بعد تبخر أحلامه أيضا: «إن إيطاليا الفاشية التي لم تعطيني الفرصة وسورية ومدرسة الميكانيك والكهرباء خيبا رجائي والأمين العمودي لم ينشر مقالي في صحيفته والمؤتمر الجزائري تبخر وخاب ضني في الإصلاح والعلماء المصلحين وأصبحت أتساءل ماذا أفعل؟»[3]

14. نشاطه الفكري: وراودته فكرة الهجرة إلى أفغانستان وإلى ألبانيا وتوفق في الهجرة إلى هذه الأخيرة حيث بدأ يلاحظ ويدرك الاختلاف بين التثقيف والتعليم، من خلال زوجه ومورناس، اللتان تسميان كل نبات باسمه وكل حشرة باسمها دون اطلاعهما لابعلم النبات ولا بعلم الحشرات.

بينما مثقفين كما يقول: يسمون كل نوع من النبات نباتا وكل حشرة حشرة.

وزاد اطلاعه بكتب بالزاك التي كانت حقلا خصيبا على فكره وفي المقابل واجه عدة صعوبات أزمت حياته، ومنها عدم توفقه في إيجاد عمل إلى أن عاد إلى الجزائر وشرع في تحرير خطابات أمية إلى ذويهم رفقة محمد الشريف جورج وريع، لكنه لم يلبث كثيرا ثم سافر إلى تبسة، أين أصبحت المظاهرات ظاهرة للفرار من الواجب.

---

[1]- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، (مصدر سابق) ص 367

[2]- المصدر نفسه ص 368

[3]- المصدر نفسه ص 369

وكان* العربي التبسي في بعض الجلسات يتيح له الفرصة في التحدث عن الواجبات ومشكلات الحضارة التي كانت تؤرق الشعب، وذلك لغياب الفاعلية والسلوك السليم الذي أغرق المجتمع حيث يقول: «كانت الأفكار قبل ذلك صافية، والنوايا خالصة صادقة، والقلوب رحيمة خيرة، فاستحال كل ذلك إلى الخلط والخبط والتباغض والانتهازية والثرثرة».[1]

وبينما أصبحت مدينة تبسة تفقد ذوقها وجمالها سافر إلى مرسيليا من أجل تثقيف العمال الذين أسسوا نادي المؤتمر الجزائري الإسلامي.

وعند وصوله ذكر أزمة المثقفين العرب، وحتى الفرنسيين وهي التعالي على المهمات المتواضعة لأنها لا تغذي فيهم النزعة إلى الظهور. وانعقدت أول جلسة من هذا المؤتمر وكان فيه أول رد على الاستعمار من فم رجل من الشعب الجزائري حيث قال: «قد أتانا بصيص من النور مع الشيخ (الصديق) إذ قمنا بواجبنا يصبح مضيئا وان تركناه يصبح منطفئ».[2]

وبعد هذا بدأت المناقشات الفردية بين الصفوف، وفي الجلسة الثانية بدأ يرى التحولات التي طرأت على المجتمع الجزائري، جراء الإستعمار حيث أصبح أحد أحفاد يوسف بن تاشفين* مؤسس دولة المرابطين بالمغرب، تلقي به الأيام على رصيف مرسيليا.

* العربي التبسي من المصلحين في الجزائر، أمين عام في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بدأ نشاطه الإصلاحي في تبسة، وفي سنة 1950 ذهب إلى فرنسا رفقة الإبراهيمي للمطالبة بتحرير التعليم في الجزائر، توفي إثر حادث اختطاف في 4 أفريل 1957.

[1] مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، (مصدر سابق) ص 390.

[2] المصدر نفسه ص 399.

* يوسف بن تاشفين: أمير المسلمين أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن ابراهيم اللمتوني الصنهاجي (400-500هـ/1009-1106م)، تولى إمارة دولة المرابطين، دخل الأندلس لأول مرة بعدما استنجد به ملوك الطوائف وقد كان له الفضل الكبير في إنشاء المذهب المالكي في المغرب وإفريقيا والأندلس.

فكان لهذه الحادثة وقعها وتعبيرها البليغ على ما آلت إليه الأيام وقد كان مالك لن نبي يدرس التلاميذ في عدة جلسات مكنته وفي ظرف وجيز من اتقان الحساب، بل واتسع فكره إلى الموضوعات السياسية والأخلاقية.

حيث كان يوصيهم في كل مناسبة على أسلوبهم ومشيتهم وحسن صورتهم وذلك حتى يحسن الذوق لديهم وهذا ما سره حيث يقول: «كنت أعش تجربة مؤثرة، تكشف لي عن حقيقة أدركها من أول مرة الا إن الحضارة التي تضع على عالم الأشياء طابعها الخاص، تضعه أيضا على وجه الغنسان فتجعل عليه مسحة الجمال».[1]

وكانت زوجته خديجة تتذوق الحياة الجزائرية البسيطة الكريمة رغم الفقر والألم وهذا ما جعلها تقول: «أنني أشك أن الزعماء والمثقفين عندكم يعرفون المأساة بهذا العمق، إنه مفزع لا تكاد الناس تصدقه عندنا في فرنسا»[2]

«واتفقا في تلك الفترة أن أطلع الشيخ العربي على كتاب فقه جاء هدية من صاحب سعودي لاجئ إلى القاهرة، وكان عنوانه الغريب الصراع يستغرب على غلاف كتاب يدرس الفقه، وله مقدمة أغرب من العنوان لأنها تتناول بصيغة وبراعة نادرة دور القيم اليهودية بصياغة العالم العصري.

فقرأه الشيخ العربي واقترح أن أقرأه أيضا لأن المقدمة لفتت نظره ورأى أنها لو ترجمت للفرنسية لأفادت في توجيه الشباب الجزائري في تلك الفترة: وكان رأيه أن أضيف للمقدمة ما جاءت به القريحة حتى ينشر الكل في صورة كتيب باسمي وباسم الشيخ، الذي تعهد من ناحية أخرى بتكاليف الطبع من صندوق جمعية العلماء، فرأيته رأيا وجيها»[3].

[1] مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، (مصدر سابق) ص 411.

[2] المصدر نفسه ص 422.

[3] المصدر نفسه 428.

وبعد أن تمت الترجمة أبدى الشيخ بعض التحفظ، وأن الرسالة لن يسمح بنشرها.

وبعد المناقشة التي دارت بينه وبين الشيخ العربي أدرك مالك بن نبي أن الطريقة في التفكير بينهما تختلف اختلافا تاما.

وقد كانت هذه الرسالة تحت عنوان الخطوة الجزائرية، لكنها لم ترى النور رغم كل الجهود المبذولة ولكن إضراره لازمه فحرر مقالة تعبر عن تلك الظروف «لا مع الفاشية ولا مع الشيطانية» إلا أنها كانت كسابقتها.

15. اندلاع الحرب العالمية الثانية: بعد أن دخل العالم في الحرب العالمية الثانية، لم يرى سببا يبقيه في بلده فسافر مع زوجته إلى فرنسا وهو يقول : «يا أرضا عقوقا تطعمين الأجنبي وتتركين أبنائك للجوع إنني لن أعود إليك إن لم تصبحي حرة»[1]

[1] مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، (مصدر سابق) ص 428.

المبحث الثالث: آراء النقاد

إن مالك بن نبي مفكر عميق الغور، غواص في البحث والتنقيب والحديث عنه متشعب ذو أبعاد، وذلك لغزارة انتاجه ولتعمقه في درس مشكلات العالم الإسلامي، وفي تحليل شخصية المسلم في عصور التخلف الحضاري.

المفكر هو الذي يدرس، ويتأمل ويقارن، ويحلل المشكلة إلى أجزائها ثم ينسق ويركب ويجتهد في إيجاد الحلول، والفكر لا يستحق أن يكون فكرا بمعناه الصحيح إلا إذا رسم طريق الإصلاح[1].

ومالك بن نبي يختلف عن المفكرين العرب لأن كتاباته ليست مجرد معرفة يتلقاها القارئ ولكنها تشكيل عقل القارئ، فحينما نقرأه لا نأخذ معلومات فقط ولكننا نصحح مفاهيمنا ونجدد معلوماتنا. فنجد أنفسنا أمام مجموعة من الأسئلة تتطلب أجوبة...، هذا هو فكر مالك بن نبي، **كيف تتحول المعلومات على معمولات**[2] وعن فكره يقول***عبد الله العقيل:** "تربطني بالمفكر الجزائري الأستاذ الكبير، مالك بن نبي، روابط فكرية وقد سعدت لقراءة أول كتاب له بالعربية وهو **الظاهرة القرآنية**، ثم تتابعت قراءاتي لما صدر بعد ذلك لكتبه المترجمة إلى العربية والتي وجدت فيها نظرة تستوعب مشكلات الحضارة، وحل معضلات العصر، وبناء شخصية المسلم المعاصر والبناء العقدي الإيجابي المبني على النظر والتدبر في حقائق الكون والحياة والنفس الإنسانية ومساريها، ومحاربة التخلف الفكري والحضاري لمواجهة ضرورات العصر ومنطلقاته.

ثم شاء الله أن ألتقي المفكر الجزائري أول مرة في الكويت حين دعوناه للموسم الثقافي هناك أواخر الستينات، وكان لنا معه حوارات وندوات وأحاديث ومناظرات خرجت منها بأن

*عبد الله العقيل بن سليمان العقيل، من أعلام الحركة الإسلامية وصاحب كتاب من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة

[1] محمد العبدة. مالك بن نبي مفكر إجتماعي ورائد إصلاحي (مصدر سابق) ص ص 05-06.

[2] قادة بحيري. محطات إقتصادية من فكر مالك بن نبي. (مصدر سابق) ص 38 .

الأستاذ مالك بن نبي طراز فريد من المفكرين الذين يستخدمون العقل في تعضيد ما ورد بالنص ويؤثرون تحليل للمشكلات ودراستها دراسة استيعاب، ويطرحون الحلول لمعضلاتها على ضوء التصور الإسلامي وفي ظل القرآن وهدي السنة[1] "

ويقول الأستاذ الكبير **أنور الجندي:** «فقد العالم الإسلامي واحد من أعلام الفكر الإسلامي الحديث هو الأستاذ **مالك بن نبي** المفكر الجزائري الذي قدم في السنوات الأخيرة عددا من المؤلفات البارعة حول موضوع الإسلام ومواجهة الحضارة فهو موضوعه الأول وقضيته الكبرى التي حاول منذ أكثر من عشرين عام أن يقدم وجهة نظر جديدة نابعة من مفهوم الإسلام نفسه، ومرتبطة بالعصر في محاولته لإخراج المسلمين والفكر الإسلامي من احتواء الفكر الغربي وسيطرته، وكسر هذا القيد الضاغط الذي يجعل الفكر الإسلامي يدور في الدائرة المغلقة، التي نقله اليها اجتياح التغريب والغزو الثقافي لقيمه عن طريق المدرسة والثقافة والصحافة. وفي محاولة لدفع المسلمين إلى التماس مفهومه الأصيل والتحرك من خلال دائرتهم المرنة الجامعة القائمة على التكامل والوسطية، والمسمدة لقيمها الأساسية من القرآن»[2]

ويضيف الدكتور **عبد العزيز خالدي** قائلا: «وبن نبي في الواقع ليس كاتبا محترفا، أو عاملا في مكتب مكبا على أشياء خامدة من الورق والكلمات، ولكنه رجل شعر في حياته الخاصة بمعنى الإنسان في صورته الخلقية وتلك هي المأساة التي شعر بها بن نبي بكل ما فيها من شدة، وبكل ما صادف في تجاربه الشخصية النادرة من قساوة، وهي التي تقدم المادة الأساسية لمؤلفاته[3]»

[1] – عبد الله العقيل. من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، تقديم. مصطفى مشهور بدر محمد بدر، محمد مهدي عاكف عبد الله الطنطاوي. ج1. دار البشير. ط8. 1429ه/2005م ص ص 713-714

[2] المصدر نفسه ص 718

[3] من مقدمة مالك بن نبي. شروط النهضة، ترجمة:عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق ص8-9

إن مالك بن نبي يتميز بأسلوب رائع في الكتابة والدقة في عرض الأشياء للقارئ، هذا ما جعل الشيخ ***محمد عبد الله دراز** يقول فيه: «وإذا كان في الواقع هنالك حقيقتان، فإنه لا يحق لواحدة منهما أن تنكر الأخرى بل على العكس من ذلك عليها أن تؤكدها وتشد من أزرها.

وإذا اتفق لمؤمن متعلم أن ملك موهبة الكتابة فوق هاتين الصفتين من الإيمان والعلم، فإن واجبا آخر يقع على عاتقه: إنه إخراج ثمار عمله بلغة عصره، كما يفعل نبي يخاطب قومه بلغتهم.

إنني أستطيع أن أؤكد بأنك قمت بكلا الواجبين. فقد تأملت بنضج، ذلك الاتصال بالعقل والتراث، بالعلم والعقيدة، وافرغت في عرض جميل واضح ومتماسك شرارة ما تفجر من ذلك اللقاء فسداد حكمك، وحرارة عقيدتك، وحداثة مصطلحاتك، وجمال أسلوبك، هذه كلها ميزات بارزة لا أستطيع أن أفيك ما تستحق من تهنئة عليها»[1]

يرى الدكتور **الخطيب**: أن النخبة المثقفة في العالم الإسلامي لا تعرف إلا القليل من فكر بن نبي واسهاماته الثقافية. فمالك بنا بالقاعدة الشبانية التي تجهله كليا، وفي عام **1990**م نشر الدكتور **وجيه كوتراني** مقالة بعنوان **لماذا العودة إلى مالك بن نبي،** دعا فيها إلى العودة والقراءة الجديدة لفكر بن نبي والتي تحتمها حسب رأيه اعتبارات عديدة منها:

أن مالك بن نبي في فهمه وتمثله للثقافة الإسلامية في أبعادها الإنسانية والعالمية، لم ترق لا لمثقفي التيار القومي، ولا لمثقفي التيار الإسلامي أنذاك. وبقيت محاصرة على هامش الفعل السياسي وأنه لم يقرأ جيدا وبموضوعية لا في زمن فكره، زمن ثوران العالم الثالث القومية والوطنية، ولا في الزمن الآحق زمن الثورات الإسلامية والصحوات الإسلامية الجديدة[2]

*محمد عبد الله دراز عالم أزهري مصري، شارك في ثورة 1919م واعتقل على أثرها نال الدكتوراه في جامعة الصوربون الفرنسية اهتم في كتاباته بمبادئ علم الأخلاق في القرآن الكريم

[1] من مقدمة الطبعة الفرنسية لمالك بن نبي. الظاهرة القرآنية ترجمة عبد الصبور شاهين تقديم محمد عبد الله دراز، محمود محمد شاكر. ط4. 1987م. دار الفكر بدمشق ص 11.

[2] – وجيه كوثراني. لماذا العودة إلى مالك بن نبي؟ الدائرة والنسيان والتواصل في المشروع العربي الإسلامي، مجلة رسالة الجهاد، ليبيا، السنة الثامنة، العدد 86 مارس. 1990م.

***يقول الأستاذ محمد مبارك :** «...إنه عربي مسلم ليس هو من المجتمع الأوروبي الذي عاش فيه بجسمه في شيء.

وكان تعمقه في الثقافة الأوروبية سببا في تحرره من نفوذها ومعرفته لمصادرها ومواردها، لدوافعها الخفية وبواعثها العميقة ولاسيما أنه جمع على جانب الثقافة العلمية، ثقافة فلسفية واجتماعية واسعة الأرجاء عميقة الأغوار كما تدل عليه آثاره ومؤلفاته العديدة التي قرأناها، والمهم في الأمر أن ثقافته هذه لم تكن ثقافة فكرية تقتصر على ساحة الفكر ولكنها نضجت بحرارة المأساة التي كانت تعيش فيها الجزائر، مأساة الاستعمار والاستعلاء والسلب، واستخدام أرفع النظريات العلمية لأحط الغايات وأخسى الأهداف لقد تجمعت في قلبه ونفسه، في عاطفته وشعوره، في عقله وتفكيره مآسي أولئك الملايين من البشر، الذين يعيشون على أرض الجزائر ضحايا لمدينة القرن العشرين، وأمثلة بارزة لانحطاط أهدافها و غايتها»[1]

يقول ***عمر كامل مسقاوي** في مقدمة كتاب بين الرشاد والتيه: «الأستاذ مالك يهتم بتوضيح الضوابط الفنية للحركة الاجتماعي، التي تتكون في بنائها ثقافة كل مجتمع ويتكون في إطار كل هذه الثقافة حضارة توفر الشروط والضمانات الضرورية لأفراد ذلك المجتمع. وهو في كل ما خدد من ضوابط في هذه المقالات في الإطار الثوري أو السياسي أو الاقتصادي، انما بشرى الفكر الإسلامي هي برؤى جديدة يتعامل من خلالها مع القيم التاريخية والأصالة التي أودعها الإسلام ضمير العالم الإسلامي عبر العصور.

*- ولد محمد مبارك 1912 بدمشق، كان من علماء اللغة العربية، له نشر وشعر وله آثار مروية تدل على فضله، عين خلال فترة 1949-1952 وزيرا للأشغال العلمية ثم وزيرا للمواصلات ثم وزيرا للزراعة ومن مؤلفاته: جذور الأزمة في المجتمع الإسلامي

[1] -من مقدمة مالك بن نبي. وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط1 1986م دار الفكر بدمشق ص ص9،10 .

فالأستاذ مالك يدعو الى بعث هذه القيم في إطار ثورية حقيقية ترتكز في أساسها على ما ارتكزت عليه الثورة الإسلامية في عهد النبوة لذا يربط الأستاذ مالك بين معطيات السنن الإلهية في تطوير المجتمعات وتغييرها وبين نجاحها الفعلي في كل أمة اتخذت طريق هذه السنن في مواجهة مستقبلها مهما كان اتجاهها الفكري والمذهبي»[1]

ويضيف في مقدمة من أجل التغير قائلا: «... بن نبي ومنذ الثلاثينات وقد استفاق وعيه على أزمة العالم الإسلامي في قبضة الاستعمار، استطاع أن يستخرج القواعد الأساسية للنهضة، وأن يصيح في هدأة السكون الفكري وافتقاد الرؤية داعيا إلى منهج، يطوي شعارات التي أرخت لخلال العقود العشرة من القرن العشرين وعلى سائر المستويات».

57_ من مقدمة مالك بن نبي ، بين الرشاد و التيه ،دار الفكر بدمشق 1423_2020 ط1،1978

خاتـــــــمة

وفي الأخير توصلنا في هذا البحث العلمي المتواضع إلى جملة من النقاط تبرز القضايا التي عالجها مالك بن نبي من خلال كتبه ، وأهم المحطات التي مر بها في حياته من خلال كتابه مذكرات شاهد القرن .

01- تحتل الحضارة مكانا واسعا في فكر مالك بن نبي حيث جمعت كتبه تحت سلسلة الحضارة.

02- يعتبر مالك بن نبي أن الثقافة الإسلامية هي منبع و أساس لقيام الحضارة.

03 - يرى مالك بن نبي أن الذي ينقص المسلم هو منطق الفعالية و أن التغيير يجب أن يمس عالم الأفكار و الأشخاص.

04- إن الفكرة الإصلاحية في الجزائر و العالم العربي الإسلامي لم تر مركب النقص لكي تحتويه ، و بهذا أضاعت فرصة نحو النهضة و التقدم .

05- إن العالم الإسلامي يسير نحو المجهول، فهو يأخذ من الحضارة الغربية، لكنه يجهل ما يأخذ .

06- تبرز مذكرات شاهد القرن المعاناة التي أصابت المفكر الكبير و مدى صبره و إصراره على مواصلة بعث رسالته.

07-يشير مالك بن نبي في كتاباته على ضرورة تحديد من هو المثقف أولا ؟ فليس كل من يمد للثقافة بصلة هو مثقف ، فهذا الأخير حسبه يجب أن يمتلك أفكاراً لكي يبنيها ، فهذه هي مهمته الأساسية.

08-مكنته هجرته إلى فرنسا من التعرف على الوجه الآخر للحضارة و على المشاكل التي يعانيها العالم الإسلامي .

09-نستنتج من خلال مذكراته المعنى العميق للثقافة فهي أسلوب حياة و موروث اجتماعي

10-اعتبر مالك بن نبي أن الجمال هو رمز للثقافة و الحضارة ، ذلك الجمال الموجود في عقيدتنا الإسلامية ، و الذي أضحى أساسا في الثقافة و الحضارة الغربية .

11-نرى من خلال مذكرات شاهد القرن الدور الأساسي الذي تلعبه الأسرة في تكوين الطفل ، كما تبرز هذه المذكرات الرؤية الفكرية و الحضارية الراقية لمالك بن نبي .

12-تتجلى عظمة هذا الرجل في صموده أمام طوفان الحضارة الغربية و تمسكه بقيم الحضارة الإسلامية حتى أصبح قدوة للإنسان العربي و الغربي على حد سواء .

و في الأخير نخلص إلى أن مالك بن نبي ، مفكر سابق لزمانه كرس حياته في سبيل النهوض الحضاري ، خصوصا للدول العربية الإسلامية ، فحبذا لو تطبق نظرياته في هذه الدول .

و الحمد لله رب العالمين الذي بفضله تتم الصالحات فإن وفقنا فبفضله ومنّه وكرمه ، وإن أخفقنا فمن أنفسنا الضعيفة فالكمال لله وحده .

قَائِمَةُ المَصَادِرِ والمَرَاجِعِ

أولا. المصـــادر:

1. أحمد بن نعمان، هذه هي الثقافة، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع،
2. إدوارد سعيد، خيانة المثقفين النصوص الأخيرة، ترجمة: أسعد الحسيني، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، 1432ه/2011م،
3. بدران مسعود بن الحسن، كتاب الأمة، الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري أنموذج مالك بن نبي، ط1، 1420ه كانون الأول (ديسمبر) 1999، كانون الثاني (يناير) 2000م، الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،
4. بدري محمد فهد، محاضرات في الفكر والحضارة، الأردن، عمان، 1429ه/2009م،
5. بشير ضيف الله، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، ط1، 2005 بن مرابطـــ،
6. بشير ضيف الله، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، ط1، 2005، بن مرابط،
7. ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد، مقدمة ابن خلدون، 1 مج، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،
8. دنكن ميتشل، معجم علم الإجتماع، ترجمة: إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت، 1981،
9. دوني كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة: قاسم المقداد، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002،
10. صمويل هنتنجتون: صدام الحضارات "إعادة صنع النظام العالمي"، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم: د. صلاح قنصوة، 1998،
11. عبد اللطيف عبادة.فقه التغيير في فكر مالك بن نبي ط1. 2014.

12. عبد الله العقيل. من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، تقديم. مصطفى مشهور بدر محمد بدر، محمد مهدي عاكف عبد الله الطنطاوي. ج1. دار البشير. ط8. 1429ه/2005م

13. عبد الله العقيل، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، تقديم: مصطفى مشهور، بدر محمد بدر، محمد مهدي عاكف، عبد الله الطنطاوي، ج1، دار البشير 2008م/1429ه،

14. علي حرب. أوصام النخبة أو نقد المثقف 2004، المركز الثقافي العربي،

15. علي شريعتي، مسؤولية المثقف، ترجمة: إبراهيم الدوسقي، مراجعة: حسين علي شعيب، ط1، 1426ه/2005م، ط2 1428ه/2007م، دار الأمير للثقافة والعلوم ش.م.م،

16. علي مؤنس: الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1419ه/1998م،

17. فؤاد البنا عبد الرحمان كتاب الأمة. العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله جولن ط1، جمادى الأولى 1434ه/2013م الدوحة وزارة الأوقاف والشؤون

18. قادة البحيري، محطات إقتصادية من فكر مالك بن نبي، شركة الأصالة للنشر، الجزائر،

19. قادة بحيري، محطات اقتصاءدية من فكر مالك بن نبي، (مصدر سابق)، ص 89، من وجهة نظر العالم الإسلامي،

20. أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 10، 1954-1962م. دار البصائر 2007.

21. مالك بن نبي مذكرات شاهد القرن، القسم الثاني: الطالب 1930-1939 بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان ط2 1404ه/1984م

22. مالك بن نبي. إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ط1. 1969م. دار الإرشاد في الطباعة والتوزيع.
23. مالك بن نبي. في مهب المعركة. دار الفكر بدمشق. ط 3. 1981م.
24. مالك بن نبي. من أجل التغيير.ط1، 1995، دار الفكر دمشق.
25. مالك بن نبي، العفن، الجزء الأول، 1932-1940م، ترجمة: نور الدين خندودي، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2007،
26. مالك بن نبي، القضايا الكبرى. ط1434ه /2013م. دار الوعي للنشر والتوزيع.
27. مالك بن نبي، تأملات، ترجمة: عمر مسقاوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط1، 1423ه/2002م،
28. مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، 1996،
29. مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة: عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق.
30. مالك بن نبي، فكرة كمنويلث إسلامي، ترجمة: الطيب الشريف، دار الفكر المعاصر: بيروت، ط2، 1960،
31. مالك بن نبي، في مهب المعركة، دار الفكر، دمشق سوريا، ط3، 1981م، 1423ه/2002م،
32. مالك بن نبي، مجالس دمشق، محاضرات ألقيت في عامي 1971-1972م، حول دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، دار الفكر بدمشق، ط1، 2005،
33. مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن القسم الأول: الطفل 1905-1930 بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان. ط2 1984م-1404ه

34. مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن القسم الثاني:الطالب 1939-1930، بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان 1404ه/1984م

35. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دمشق، دار الفكر، 1988،

36. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة. ط1، 1434ه/2013م، دار الفكر المعاصر. بيروت ودار الفكر سوريا.

37. محمد الذوادي، الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب منظور العلوم الاجتماعية، ط1، كانون الثاني، يناير 2006، دار الكتاب الجديد المتحدة،

38. محمد العبدة. مالك بن نبي. مفكر إجتماعي ورائد إصلاحي، ط1، 2006م/1327ه، دار النشر جدة،

39. محمد العبدة، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، ط1، 1237ه/2006م، دار النشر جدة،

40. محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، (م.س)،

41. محمد العربي ولد خليفة، المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 10-2013،

42. محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، مركز الدراسات، الوحدة العربية، بيروت لبنان ط1، بيروت تشرين الثاني/ نوفمبر 1995م، ك2: كانون الثاني/ يناير 2000م،

43. من مقدمة مالك بن نبي. شروط النهضة، ترجمة:عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق

44. من مقدمة مالك بن نبي. وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط1 1986م دار الفكر بدمشق

45. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف كورنيش النيل، القاهرة،

46. نصر محمد عارف، الحضارة، المعرفة، الثقافة، المدينة، دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، ط2، 1414ه/1994م،

47. ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محفوظ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1949،

ثانيا: المعاجم والقواميس

أ. القواميس:

48. الفيروز آبادي، قاموس المحيط، (بيروت: دار الفكر 1412ه/1983م)، ج2.

ثالثا: المجلات العلمية والمقالات

49. أحمد قويدر، المثاقفة والمثقف في فكرة مالك بن نبي. الكلمة، العدد 75،

50. زياد عبد الكريم نجم، الكلمة، مجلة فصلية تعنى بشؤون الفكر الإسلامي وقضايا العصر والتجدد الحضاري، أنماط العلاقة بين الحضارات، نظرية تعارف الحضارات أنموذجا.

رابعا: المواقع الإلكترونية

51. شاكر لقمان، وقفات مع كتاب، مذكرات شاهد القرن للمذكر الجزائري مالك بن نبي، www.alukah.net.

فهـــــــرس

المحـــتـــويـــات

شـــــــكر

إهـــــــــداء

مـــقدمـــــة أ

مـــــــدخـــــل

الثقافة والحضارة "مفاهيم ودلالات"

1. تعريف الثقافة لغة 6

2. تعريف الثقافة اصطلاحا 7

تعريف الحضارة لغة 9

تعريف الحضارة اصطلاحاً 10

علاقة الثقافة بالحضارة 11

مجالات الثقافة والحضارة 14

الفصـــــــــــــــل الأول

مشكلة الثقافة في فكر مالك بن نبي

1. نظرية الثقافة عند مالك بن نبي 16

2. مفهوم الثقافة في المدارس الغربية 18

3- العلم والثقافة 19

4- الثقافة في التاريخ 19

5- الثقافة في التربية 20

6- عناصر الثقافة 20

1-التوجيه الأخلاقي 20

2. التوجيه الجمالي 21

3. المنطق العملي 21
4. التوجيه الفني أو الصناعة 22
المبحث الأول: ترجمة للمؤلف 23
1. مولد مالك بن نبي ونشأته 23
2. الدراسة والتكوين 23
3. عمله 25
4. مؤلفاته 26
5. سفره 28
المبحث الثاني: المثقف عند مالك بن نبي 31
1. مفهوم المثقف 31
2. المثقف عند مالك بن نبي 33
المبحث الثالث: الحضارة عند مالك بن نبي 38
1. مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي 39
2. مقومات الحضارة عند مالك بن نبي 40
3. الحضارة الإسلامية 41
4. دور العامل النفسي في بناء الحضارة 43
5. الحضارة الغربية 43
6. الحضارة على مرّ التاريخ 44

الفصـــــــل الثانـــــي

فكرة المثقف في مذكرات شاهد القرن

1-تكوينه الفكري في المرحلة الأولى [1905-1930] 49

2-تكوينه الفكري في المرحلة الثانية[1930-1939] 50
المبحث الأول: المثقف الطفل 51
1-أثر العائلة في تكوينه 51
2-أثر بيئته 52
3-إلتحاقه بالمدرسة الفرنسية 53
4-الصراع السياسي في الجزائر 53
5-عودته إلى قسنطينة 54
6-دخوله إلى المدرسة الثانوية 54
7-أثر عبد الحميد بن باديس على فكر مالك بن نبي 55
8- البحث عن عمل 56
المبحث الثاني: المثقف الطالب 57
1-الهجرة إلى فرنسا 57
2-الدخول إلى معهد الدراسات الشرقية 58
3-الالتحاق بمدرسة الاسلكي 58
4-الإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم 59
5-مناقشات مع حمودة بن ساعي 60
6-النشاط السياسي والاصلاحي 60
7-العودة إلى الجزائر 61
8-المناقشات الفكرية 62
9-وفاة والدته 63
10-ما قبل الحرب العالمية الثانية 63

11-خيانة المثقف 64
12-تأسيس المؤتمر الإسلامي 65
13-رسوبه في مدرسة الميكانيك 65
14. نشاطه الفكري 66
المبحث الثالث: آراء النقاد 70

خـــاتـــمـــة 76

قائمة المصادر والـــمراجع 79

فـــهرس الـــمحتويـــــات

ملخص:

إن العالم العربي والإسلامي اليوم يجهل من هو المثقف بل وأضحى حتى هذا الأخير يجهل مسؤولياته و دوره الذي يحدد جوهر فكره وعليه ارتكز جوهر هذه الدراسة عن فكرة المثقف أي التحديد و الدقة في مذكرات شاهد القرن لمالك بن نبي ، فهذا المثقف وهذه المذكرات هي رمز ونموذج يحتذى به، و ما أحوجنا اليوم إلى دراسة و تحليل هذا النوع من المذكرات

مالك بن نبي فيلسوف الحضارة في القرن العشرين ومن أبرز مفكري العالم العربي والإسلامي، ولد سنة 1905 في الجزائر بمدينة قسنطينة في أسرة مسلمة ومحافظة، نهل من ثقافتين مختلفتين، ثقافة عربية إسلامية ، وثقافة غربية فرنسية ، ما مكنه من التطلع على حضارتين مختلفتين.

وقد أسس مالك بن نبي مفاهيم ومصطلحات غير مسبوقة في مجال الثقافة والحضارة، حيث يعالج في كتاباته مرتكزات ومقومات الحضارة ويبين أن الإسلام ليس عائقا لقيام الحضارة، ويربط هذا بالقرآن والسنة، تعرفنا على هذا الفيلسوف العظيم في هذا البحثمن خلال كتابه مذكرات شاهد القرن و الذي يتضمن جزئيين: الجزء الأول المثقف الطفل والجزء الثاني المثقف الطالب، وهذه المذكرات هي انعكاس للمثقف الملتزم بقضايا مجتمعه وأمته، كما نلمس هذا الالتزام بطرح مالك بن نبي لقضية الأفكار القاتلة والتي سارت بالعالم الإسلامي إلى طريق التخلف.

شكلت هجرة مالك بن نبي إلى فرنسا نقطة تحول في فكره حيث لم يكن رسوبه في معهد الدراسات الشرقية عائقا أمام أفكاره بل زاده إصرارا وعزيمة على مواجهة الصعوبات، وكان انخراطه في الوحدة المسيحية للشبان البارسيين يعرفه على التباين والاختلاف بين الأشخاص وبالتالي الثقافات إضافة إلى التقائه بالشخصيات الفكرية والإصلاحية البارزة ركز مالك بن نبي على ضرورة التغيير أو التغير من أجل النهوض بالأمة العربية الاسلامية و أوكل مسؤولية هذا التغيير إلى المثقف الملتزم.

وقد كانت كتاباته مقيدة إلى أن سافر إلى مصر 1954 حيث بدأت مرحلة جديدة هي مرحلة الكتابة و التأليف، و في عام1973توفي بالجزائر.